

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن البند الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزماينى

م

الإدارة

بشارع عبد الميزر رقم ٣٩

التيبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

السنة الخامسة

« القاهرة في يوم الاثنين ١٢ رمضان سنة ١٣٥٦ — ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٧ »

العدد ٢٢٨

الصيام بين عهدين

والتجدد أو التطور يصيب كل شئ فيجعله أعلى عالٍ أو
يرده أسفل سافل !

كان عهدنا بالصوم قبل اليوم أن يكون عصيانياً للنفس في
طاعة الله ، وحرماناً للجسم في مَبَرَّة الروح ، ونكراناً للذات في
معرفة الناس ؛ فالجوارح مغلولة عن الأذى ، والمشاغرة مكفوفة
عن الشهوة ، والخواطر مستغرقة في الدعاء ، بين نهار كله إحسان
وتأمل وتصديق ، وليل كله قرآن وتواصل وتهجد ؛ فلا الفنى
يهيج به البطر ، ولا القوي تفرط عليه القدرة ، ولا الفقير يتجهج
له الحرمان ، وكأنما زالت الفروق بين الناس فأصبحوا سواسية
في نعمة الدين وسعادة الدنيا !

كان الرجل الدينوى الشهوان إذا أقبل عليه رمضان تاب
وتطهر ، فلا يفتح فيه لُجُج ، ولا عينه لمحفش ، ولا أذنه للغو ،
ولا قلبه لخبطية . يقضى يومه مضطرباً في المعاش على أفضل
ما يكون الخلق ؛ فإذا كان تاجراً لا يدلس ، أو صانعاً لا يزور ،
أو عاملاً لا يُفَرِّط ، أو معاملاً لا يخون . ويحبي ليله في استماع
القرآن ومواصلة الإخوان ومُؤَادَّة ذوى القرى ؛ فإذا ما اقضى
بعض الشهر بدا عليه شحوب الصوم وذبول الصلاة وكلال السهر
وخشوع الورع . فلو كنت حاضر ذلك العهد لرأيت رمضان

الفهرس

صفحة

١٨٤١	الصيام بين عهدين ... : أحمد حسن الزيات ...
١٨٤٣	الحدا الحاسم ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
١٨٤٥	النبي ... : الأستاذ محمد إسماعيل النشاشيبي ...
١٨٤٧	قصة واقعة ... : الأستاذ علي الطنطاوى ...
١٨٥٠	التفريع والقضاء في ... : الأستاذ عطية مصطفى مشرفة .
١٨٥٣	أبو الفرج البهاء ... : الأستاذ عبد العظيم على قناوى .
١٨٥٦	مقالات أسباعية ... : لأستاذ جليل ...
١٨٥٩	الطبعة الشرقية ... : الدكتور محمد غلاب ...
١٨٦٢	مصطفى صادق الرافى . : الأستاذ محمد سعيد الريان ...
١٨٦٥	قطب الثمار لطاغور ... : الأديب عبد الحالى الطاهر ...
١٨٦٦	الأديان والمذاهب في الحبشة : الأستاذ محمد تيسير طليان ...
١٨٦٨	فلسفة الترية ... : الأستاذ محمد حسن ظاظا ...
١٨٧٠	غيب مباء (قصيدة) ... : الأستاذ نقرى أبو السعود ...
١٨٧٠	ليلة قراء (قصيدة) ... : الأستاذ خليل حنداوى ...
١٨٧١	شاعر الحب (قصيدة) ... : الأستاذ محمد بهجة الأثرى ...
١٨٧٢	الفن الهندى ... : الدكتور أحمد موسى ...
١٨٧٤	جلالة الملك يحضر دروس الدين في رمضان — الموسوعة الابطالية (انكلويديا إيطاليانا) ...
١٨٧٥	صور بغدادية — دور الضيافة الأدبية ...
١٨٧٦	اكتشاف جديد لسر التحنيط — انعقاد المؤتمر الطبى السنوى في بغداد — أسبوع الكتاب الألمانى ...
١٨٧٧	خرافة جاسون (قصة) : الأستاذ درين خشة ...

عبداً قومياً ودينياً يؤكد أسباب القرب بين الله وعباده ، ويوثق
عرى الحب بين الشعب وأفراده

ذلك عهدنا بـرمضان الأمس ؛ أما رمضان اليوم فيحبك
أن أصف لك حياة من حيوات القاهرة فيه ؛ وتستطيع أنت أن
تصور لنفسك الطور العجيب الذي آل إليه شهر القرآن والعبادة
هي أسرة لا أقول إنها مثال لكل الأسر ؛ ولكنها استجابت
لنوازع التجديد الأبله استجابة الإيمّة فأصبحت تمثل ماعسى
أن يكون بين التقاليد والتقليد من التناقض الضحك

ميم باشا يتبوأ منصباً من مناصب الدولة الرفيعة . بلغه بعد
حياة طويلة كادحة ، بتدنى من القرية الفقيرة والأسرة الفقيرة
والوظيفة الخاملة ، وتنتهي إلى هذا الجاه المريض والثراء الضخم
والمنازل المرموق ؛ فهو وزوجه من عهد ، وابناه وبناته الثلاث من
عهد ؛ والتفاعل بين هذين العهدين هو الذي أحدث هذه الظاهرة
التي نجدها اليوم في أكثر بيوت القاهرة . لا بد لهذه الأسرة أن
تصوم ؛ ذلك حكم النشأة وسلطان العادة . ولا بد كذلك لهذا
الصوم المتمتد الجاف أن يتسع بالله وترق حواشيه إذا ما استضاف
هذه الأسرة . فهو يُسبل جناحيه الزومين على أسرمتها الوردية
الوثيرة من طلوع الفجر إلى متوع النهار ؛ ثم يمس بريشهما
الناعم خدود الأوانس النواعس فينتبهن ؛ ويهبط الوالدان على
زقرقتهن في غرف الزينة وطنف القصر ؛ ثم يجتمع بعد قليل مجلس
الأسرة لينظر في مقترحات البطون على إدارة المطبخ . في هذه مقترح ،
وتلك تعترض ، وهذا يطلب لوناً ، وذلك يطلب آخر ، والباشا يدير
هذا الجدل الشهي إدارة موقفة ، فيعدل أو يكمل أو يؤجل ، حتى
ينتهي النقاش بثبت حافل بالمشبهات والمقليات والشويات
والحشرات والبطائر لا تجدد بعضه في مطعم كبير

يتغير هذا الثبت كل يوم فيطول أو يقصر ، ولكن لونين
فيه لا ينالهما تغير ولا يمسهما نقص : لوناً من الأرانب مطبوخة
في النبيذ يحبه الباشا ، ولوناً من الشرائح الوردية مطعمة بفصوص
من شحم الخنزير تحبه الأنسة الكبرى سين !

ها هو ذا الباشا البطين يتذبذب ويبدأ بين المطبخ والمائدة كأنه
رقاص الساعة ؛ في يده مسبحة الكهرمان الصغيرة يهش بها
على العلاء والخدم ، وشفتاه تحتلجان من غير كلام ، وعينه تتحرك كأن

من غير نظر ، حتى إذا دنت الغرب خفت حركته واحتد نشاطه
فأقبل على المائدة ينسق الآنية ، وينضد الأكواب ، ويكب أمام
كل آكل الشراب الذي تعود به فمناقر الدين ، وهنامتقوع التبن ،
وهنا الكينا ، وهناك القرمود ، وهناك إفيان ، وأمامه هو شراب
صحي فاخر من صيدلية (بني) ؛ ثم يدبج الخوان الخمل بنوافل المائدة
من السلطات والكوامخ ، ويرب الألوان مع النادل على أصول
مقررة في الفن ؛ ثم يسرح بعد ذلك بصره في السباط المكتظ
فيرتد إليه ملائ بالرضا والعجب ؛ فيخرج إلى الردهة ، ومن الردهة
إلى الشرفة ، فيلقى النظرة الأخيرة على الشمس الغاربة ، ثم يعود
فيرى الأسرة بجسها لم تفرغ بعد من إعداد الألبه السهرة الراقصة ؛
فالجل تنتق ، والحلى تختار ، والشعور ترحل وتموج ، والأظفار
تدرم وتصبغ ، والحواجب تدق وتخطط ، والخطوات والفتات
والبسبات تتكرر أمام المرايا لتراض وتنقش . حتى إذا انطلق مدفع
الإفطار من الراديو أهرعوا إلى المائدة إهرع جنود الإطفاء إلى
السيارة ؛ ثم يجلس الباشا بين بنيه ويضع المسبحة المعلومة مكان
القدح المجهول ، ثم يرفعه إلى فيه وهو يقول : « اللهم لك صمت ،
وعلى رزقك أفطرت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت . » ثم يقبلون
على هذه الآكال وهذه الأشربة إقبال الشره القاره ! فلو رأيتهم
حسبتهم صاموا العام كله ليفطروا في رمضان !

أذنت العشاء فصلها الباشا الصالح ، ولم يكده ينفلت منها حتى
أخذ يعد مقصف الليلة من التنقل المختلفة ، والأشربة الهاضمة ،
والأزهار الجنية . وأخذت الأسرة زيتتها النمامة الكاشفة واجتمعت
في البهو الفسيح الفخم تستقبل أسراب السيدات والأوانس ومعهن
أبنائهن وإخوتهن من الأيفاع والشباب ؛ فيعزف البيان ، ويحفق
العود ، وتشدو الكواعب ، ويهزج الحاككي ، ويدور الرقص على
نمطيه الشرق والغربي ، فتلتف الأيدي على الخصور ، وتلتصق
الصدور بالصدور ، وتمتج أنفاس الكحول بأنفاس العطور ،
ويقف رمضان المسكين من هذه المناظر المريبة وقفة شيخ من
شيوخ الدين دفعت به الأقدار إلى ماخور !

هذه والله صورة ناطقة لأسرة أعرفها ويعرف أمثالها الناس .
فمن عرفها فسيقول قصر ، ومن جهلها فسيقول بالغ ؛ والحق أنها
الواقع لا تنقصه إلا تسمية الأسماء وتعيين المنزل .

محمد حسن الزمان

الحد الحاسم

للأستاذ عباس محمود العقاد

—>>><<<—

من العقول عقل كارلوسول الذى تثنى بقدومه ولا تثنى برأسه :
ترسله وتفصل له ما يعمل فى كل حالة ، فإذا طرأ طارئ لم تسلف
له فيه وصية فلا عمل ولا نصريف حتى يرجع إليك . فالتى
عنده إما معمول بأمر أو متروك بأمر ، وإما حسن كما تراه أو
قبيح كما تراه ، ولا توسط ولا تدرج بين الأمور

ومن العقول عقل كارلوسول المفوض : تنبئه بمرادك ثم تكل
إليه تحصيله كما يريد ، فلا تبيح ولا تمنع ، ولا تقسم الأمور كما
تراها ، بل تدع له أن يقسم ما يشاء حين يشاء

العقل الأول لا غنى له عن الحدود الحاسمة فى الكلام ؛
فالتى عنده إما أبيض أو أسود ، وإما حلوا ومر ، وإما مأخوذ
أو متروك ؛ ولا يجوز أن يكون مأخوذاً فى حال ومتروكاً فى حال ،
ولا أن يكون حلواً ومرأ فى وقت واحد ، ولا أن يكون بين
البياض والسواد تارة ببيض وتارة يسود على حسب الضياء
والظلام ، وعلى حسب الموقع الذى تنظر منه إليه

والعقل الثانى لا يتقيد بالحدود الحاسمة ولا يحتاج إليها ، لأنه
يرى الدرجات بين المسافات ، ويرى الظلال بين الألوان ، ويرى
التشكيلات بين الأشكال

فالتى عنده لا يكون ببيداً وحسب ، ولا قريباً وحسب ،
وإنما يكون ببيداً بمقدار كذا وقريباً على درجة من القرب
مقسومة بين الدرجات ؛ وقس على ذلك سائر ما يدركه ويحده ويعيه
ولغات الأم تبين لنا مقدار نصيبها من العقل السخر ومن
العقل الفوض

فاللغة التى تقل فيها « الظروف » هى اللغة التى قلما يستغنى
أصحابها عن الحدود الحاسمة والأوامر المفروضة ، لأنهم يجهلون
الفروق ولا يدركون وجوه الاختلاف ، إلا إذا بلغت من الظهور
والانتضاح مبلغ التقيض من التقيض ، أو مبلغ الشئ المميز بعلامة
لا تشبه غيرها من العلامات

واللغة التى تكثر فيها الظروف هى لغة العقول المفوضة أو
العقول المتصرفة ، لأنها تلمح الفرق الصغير فلا تقف عند الحد
الحاسم الكبير ، وتري العمل الواحد على أشكال متعددة ،
فلا تحصره فى شكل واحد محدود محتوم

و « الظروف » فى اللغة هو الكفيل باظهار هذه الفروق
الصغيرة ، وتقسيم الدرجات بين المسافات الواسعة . فإذا رأينا
« الظروف » فى لغة من اللغات فتحن إذن أمام ناس متصرفين
غير محددين ، أو أمام عقول تستنبط الفهم من بواطنها ولا
تنتظر حتى يقال لها : افهمى هذا هكذا ، وافهمى ذاك على ذاك المثال
وأحسب أن « الظروف » تقل ، وأن العقول تعجز عن

التصرف لسبب من سببين :

أحدها طول عهد الاستبداد ، فيتمود العقل إملاء الأوامر
عليه وإسناد القرائض إليه ، فيصدع بما يؤمر وبطبع ثم
لا يتصرف ، وينتظر الارشاد والتسييد فى كل خطوة وعند كل
طارئ جديد

والثانى نشأة الأمة فى بيئة محدودة لم تنشب فيها مسالك
ال عمران ومذاهب التفكير ، فكل ما فيها فروق كبيرة بالوزة ،
ومسافات بيضة شاسعة ، فلا محل فيها للفرق الدقيق ولا للدرجة
الصغيرة ولا للسحة المترددة بين الألوان

وأنت تستطيع أن تفتح « معجم » اللغة من اللغات فتعرف
نصيبها من الحرية أو من سمة العمران بتلك العلامة التى لا تخفى ،
وهى علامة « الظروف » المصوغة أو التى تسهل صياغتها من
الأسماء والأفعال

يضحك الانسان ضحكة السرور ، وضحكة الألم ، وضحكة
التشنى ، وضحكة التهم ، وضحكة الرسامة ، وضحكة الطيش ، وضحكة
المعرفة والحكمة ، وضحكة الجهل والبلاهة ، وضحكة القوة والعمرة ،
وضحكة المجون والاسترخاء ؛ وكله ضحك إذا نظرت إلى اسمه فى
اللغة ... فإذا يفيد هذا الاسم إن لم يميزه ميمز من الظروف ؟

وتقول مثلاً فى عنوان مقال أو قصيدة : « شجاعة الجبلين »
فيفهم العقل المتصرف أو عقل « الظروف » معنى ما تقول

أما العقل الملقى أو عقل الحدود الحاسمة فيعجب حتى يغرب
فى الضحك ويسخر ممن يلقى إليه بذلك العنوان ، لأن المسألة

فهل من الضروري أن يلجأ العقل المتصرف إلى التفريقات والظروف في تعبيراته ؟

وهل إذا قال القائل : « إن النهار مضى والليل مظلم » نحسبه من أصحاب اللغات الفنية التي يتكلمها المتصرفون أو من أصحاب اللغات الفقيرة التي يتكلمها المحدودون الملقون ؟

الجواب هنا ينفع فيه التصرف المطلق ، ولا ينفع فيه الحسم المطلق !

الجواب هنا أن ذلك القائل يكون من المتصرفين إذا قدر أن سامعيه لا يمترضون ذلك الاعتراض السخيف ولا يطالبونه ببيان الحجرات في جميع البيوت والطرقات والأمصار والقارات ، أو باستثناء هو وذلك على حد سواء . فإذا هو سكت بعد تفريقه الموجز فسكوته خير من الإفاضة والتشبيب

وأنه يكون من المحدودين إذا قال : « إن النهار مضى والليل مظلم » ثم سكت عن المزيد لأنه يجهل مواقع الاستثناء كما يجهلها سامعوه

فالتصرف لازم في جميع التفريقات حتى التفريق بين المتصرفين والمحدودين

ومن ثم نستطيع أن نقول : إن « الظروف » والتفريقات تكثر في اللغات الفنية ، ثم ترى أن أصحاب تلك اللغات قد يستفنون عن الظروف والتفريقات ويعرفون كيف يستفنون عنها ومتى يحسن الاستثناء ؛ فلا تمجّل بالاعتراض ولا نحسب أننا متناقضون ، لأن التصرف خلاق أن يتقن هذا التناقض الظاهر عن أذهاننا وأن يفتينا عن الإسهاب حيث لا حاجة إلى إسهاب

ساقني إلى موضوع الحد الحاسم رأي في علاقة الأذنب والديمقراطية قرأته في كتاب « لوناود وولف » المسمى بسند الطوفان ، وسأعود إليه ببعض الشرح والتعليق في غير هذا المقال وخلاصة رأيه أن الثمراء والقاصين كانوا يرسمون للناس قبل القرن السابع عشر نماذج من طوائف وجماعات . أما بعد القرن السابع عشر وانتشار الديمقراطية فأبطال القصص « أفراد » مستقلة قلما تتكرر في غمار السواد ، وليست نماذج من طبقة أو طائفة أو قبيل

عنده إما شجاعة وإما جبن ولا يلتقيان . وليس في علمه أن الجبن قد يؤدي إلى الاقدام بعض الأحيان ، وأن الجبان والشجاع في بعض المواقف سيان

ومن هنا كان استغراب الجامدين لا كانوا ينعتونه « بالتفريح » من تلك النواوين ، وما هو بالتفريح ولا بالوصف الموقوف على التفريجة ، ولكنه وصف شائع بين جميع العقول التي بلغت رشدها وخرجت على وصاية « الحدود الحاسمة » أو على وصاية الأسماء والأفعال التي لا تميز بينها الظروف والإضافات

وليس أصعب من إفهام عقل حاسم يتحذلق ويقيم الاعتراضات على مسمع . فأنت إذا قلت مثلاً : إن النهار مضى والليل مظلم ، فذلك تفريق من أصدق التفريقات بين الأضداد : يسمعه العقل المتصرف فيعلم ما منيه لأول وهلة ، وسمعه العقل الحاسم المحدود المتحذلق فيقول لك : كيف ؟ إن النور الكهربائي يضيء بعض الحجرات بالليل ، وإن الستائر لتلق الظلام على بعض الحجرات بالنهار ! وقس على ذلك أمثال هذه الاعتراضات وما تم عليه من الضيق والعجز وقلة التصرف والتواء التفكير

وإلا فأنك إذا أردت أن تمنع ذلك الاعتراض وأشباهه فقد وجب عليك أن تقول : إن النهار مضى والليل مظلم ، ثم تتبع هذا التفريق بإحصاء جميع الحجرات التي تمججها الستائر والنوافذ وجميع الحجرات التي تضيئها المصابيح الكهربائية وغير الكهربائية ، وتعود فتقول : إن النهار مضى والليل مظلم ما عدا حجرة في بيت زيد في طريق كذا في مدينة كيت وكيت بمصر بالقارة الإفريقية ، وهكذا حتى تستوفي بيان جميع الحجرات في جميع الطرقات في جميع الدائن في جميع الأقطار . فإن لم تذهب إلى هذا التفصيل فأقل ما في الأمر أن نعود إلى استثناء لا حاجة إليه ولا مزيد فيه فالذي يدعو العقل المحدود إلى أشباه ذلك الاعتراض ؟ أدقة في فهم ؟ كلا ! بل عجز عن إدراك الحدود بغير إملاء حاسم وعجز عن طلب المعرفة بشغله بالقشور عن اللباب وبالتوافه عن مهام الأمور

وهنا ينبعث لنا من التمثيل مثل آخر للتفريق بين العقل المتصرف المفوض والعقل الحاسم المسخر

ولم تحسن الأيام تكتب ما أُملي^(١)

رُبَّ مَا لَا يُعْتَبَرُ (الشعر) عنه

والذي يُضمرُ الفؤادُ، اعتقاده^(٢)

وما قيد الشعر العربي إلا قوافيه، وما قصّر خطواته في ميادين الشؤون إلا تلكم الأوزان (البدوية) والآهية؛ والقافية في أكثر الأحيان هي القائلة لا القائل، والوزن هو الوزن لا شعور الشاعر؛ فأكثر الشعر ليس لأهله لكنه للوزن أو للقافية... إنه مما أتى، مما وجد... ليس هو مما قصد... وكائن في الضائر من معاني باهرات مدهشات قد غيبتها القوافي؛ وإذا كان ذلك القديم الكريم الموروث قد كفى في شيء فتمتة أشياء لم يستقبل بها، والراغب والمطالب في (الحضارة) في كل وقت جنة

ولولا أن عبقرية متخية قوية عند المتنبي قد أنكرت الجري على أساليب القوم أو بعض أساليبهم، إذا كان مدح فالنسيب القدم

أكل فصيح قال شعراً متميم^(٣)؟ وأرادت أن تحرر ربها لأقام (الكندي) دهره من تباع (الطائي) يأخذه بأخذه فلا يجاريه، ويكدر روحه في أن يصوغ كما يصوغ فلا يساويه؛ وحيب في صوغه وغوره لا يلحق. «أراد المتنبي أن يسلك مسلك أبي تمام فقصرت عنه خطاه، ولم يبطه الشعر من قياده ما أعطاه^(٤)» وقبلما صار كبير مقلد عظيم مقلدا

ولم يستطع المتنبي — على تبريزه وارتقائه — أن يزحزح حبيبا عن مكانته، وما قدر إلا أن يفعد في عرش الشعر معه. وليس بقليل أن يقتطع من ملك حبيب ما اقتطع، ويختلج من رعاياه من اختلج. فالناس بعدها في كل زمان حزبان: متنبى، وتمامي، لكن جماعة (أحمد) أكثر عدداً، و (للحبيب) شيعة به مفرمون

وقد قالوا: أبو تمام عند الخاصة أشعر، والمتنبي أشعر عند العامة. وما أنصف المتنبي هؤلاء القائلون. إن في (السيقيات والكافوريات والمضديات) وغيرهن لآيات بينات، وإن فيهن لسحرا. وإذا كان لأبي تمام عشر قصائد علاهين علواً كبيراً، فإن للمتنبي قد آمنه خمسين قصيدة أو أكثر من ذلك. وقد يقول قائل — وفي قوله حق — إن طول الأجل وقصره قد أعطيا ومنما، فلم يعمّر (حبيب) ما عمّر (أحمد)

وكان شيوخ ابن خلدون يرون — كما قال — أن نظم المتنبي والمرى ليس هو من الشعر في شيء — الله أكبر! — لأنها لم يجريا على أساليب العرب^(٥)

وكلام هؤلاء الشيوخ (شفاهم الله، وشق ناقل قولهم معهم) ليس بشيء إلا شيئاً لا يُعبأ به؛ فأساليب العرب متنوعة مختلفة، وليس هناك أسلوب أوحد؛ ولكل قبيل طريقة، وللبدوي بلاغة، وللحضرى بلاغة، وللأنفليم أو المكنان، وللخليقة والمزاج أثر وسلطان؛ ولكل عصر أو قرن زي ولحن. و«أحسن الكلام ما شا كل الزمان»^(٦) «والدنيا في تبدل مستمر، وأحوال العالم لا تدوم على وتيرة واحدة، ومنهاج مستقر»^(٧) ولكل نابغة نهج معلوم

فتنكب المتنبي عما تنكب عنه، وسلوكه السبيل الذي

(١) في رثاء عبد الله بن سيف الدولة، والصدر (وما نفع الأيام على بأمرها) وفي هذه القصيدة:

هل الولد الحبيب إلا تلة وهل زورة الحسناء إلا أذى البعل
وما الدهر أهل أت تؤمل عنده حياة وأن يمتاق فيه إلى النسل
والمرى من هنا مضي في تكره الحياة والنسل إلى الناس

(٢) في أبي الفضل بن الحميد يشته بالبروز وفي القصيدة يقول:

مربي لسانه، قلبي رأيه، فارسية أعياده
خلق الله أنصح الناس طرا في مكانه، أمراه أكراده
مثل ما أحدث النبوة في العالم (م) والبث حين شاع فاده

(٣) مطلع قصيدة للمتنبي في سيف الدولة

(٤) النمل السائر

(١) في (الجزء الأول من كتاب البر) المقدمة لابن خلدون: الشعر هو الكلام البليغ، المبني على الاستعارة والأوصاف، الفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في قهرقه ومقصده مما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المحصورة به. فالكلام منظوما وليس على تلك الأساليب فلا يكون شعراً. وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمرى ليس هو من الشعر في شيء لأنها لم يجريا على أساليب العرب

(٢) المأمون في كتاب الإيجاز والاعجاز للتحالي

(٣) العلامة الفيلسوف ابن خلدون في (مقدمته)

قصة واقعة

للأستاذ علي الطنطاوي

—»»»»»—

« أغارت سيول هائلة ليالي ٢٤ - ٢٥ أكتوبر على حارستا والمنظية والضبير من أكبر قرى دمشق الشمالية ، غزبتها ولم تدع في الضبير حجراً على حجر ، وقتلت الناس بالآلاف وتركت من تركت بلا مأوى ولا مال ... »

كانت « منطرة ^(١) » « سعد الخطار » أعلى منطرة في « دوما ^(٢) » ، وكانت تطل على كروم دوما الواسعة والسهول التي تليها ممتدة إلى ثنية العقاب التي انحدر منها خالد مقدّمه من العراق في طريقه إلى اليرموك ساحة الشرف الخالد ، وتشرف من هناك على جنان القوطة تلوح من ورائها دمشق جنة

(١) المنطرة في عرف الشاميين غرفة من أعواد سقفها من الفس أو من أوراق الشجر تبنى على أربعة أعمدة عالية من الخشب يقع فيها الطائور والطائور فارسي مغرب من القديم والاسم الطارة والمنطرة اسم مكان منها (٢) بلدة على ثلاثة عشر كيلاً من دمشق ، يصلها بها خط ترام كهربائي تعدى وضواحيها عشرين ألفاً ، وهي أشهر قرية في سورية بكروم العنب الأحمر ، وبصنع الدبس والزبيب

سلكه ما ضاراه بل ظاهراه في إبداعه ونبوغه ، وكان ذلك على هذه اللغة من نعم الله . فتحرّر (ابن الحسين) من تقليده ، ومشى مشي المبدل المستقل في تجديده ، والمقلد عبّد ، ولا يرضى بالمبودية حرّاً ؛ والتقليد عدم ، والاستقلال كون ، وشعر المتنبي ذاك الشعر ، وأظهر (أحمد) معجزه

ولي فيك ما لم يقل قائل وما لم يسر قرحيث سارا ^(١)
ورأت العربية أكبر شاعر ، وظهر في العرب شاعرهم

ودع كل صوت غير صوتي فأنني

أنا الصائح المحكي والآخر الصدى

وما الدهر إلا من رواء قلائدي

إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

فساربه من لا يسير مشعراً وغنى به من لا يغني مفرداً

محمد اسعاف النشائي

(١) المتنبي في سيف الدولة وقيله :

وعندي لك النرد السائر (م) لا يختصن من الأرض داراً
قواف إذا سرت عن مقول وثبت الجبال وخضن البحارا

الأرض أقدم مدن العالم ، يرى خيالها حبال الأفق بما ذنها التي لا يحصيها عدّ ، ومسجدها العظيم تتوّج هامته قبة النسر الباذخة الشمخرة ، والنائر السامقة العالمة ، ويرى منها قاسيون الحبيب ، وهانيك الجبال ... وكان سعد الخطار سيد شباب الضبير ^(١) ، وأشدّهم أسراً ، وأجرأهم جناحاً ، وأقوام ساعداً . اشتغل منذ عشرين ناطوراً في كروم دوما ، فعرف فيها بالشدة والبأس ، فتجنب الناس كرمه وابتمد عنه اللصوص والطرّاء . وكان يجول النساء في أنحاء الكرم أو ينزل إلى البلد ، وخيزرانه في يده ، فيجتمع النساء في طريقه ينظرن بإعجاب إلى قامته اللديدة ، ومصدره الواسع ، وأكتافه العريضة ، وشاربيه الأسودين المعقوفين ؛ ولكن سعداً كان مع هذه الشدة وهذا البطش رقيق العاطفة ، مرهف الحس ، يحمل بين جوانحه قلب شاعر شاعر ...

كان عصر اليوم الخامس والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٣٧ . وكانت السماء متلبدة بالنيوم ، والأمطار ترش رشاً خفيفاً ، والدنيا مظلمة ترى كأنها في ساعة الغروب ، وكان سعد في منطرتة ينظر إلى الكرم الواسع الذي حرسه الصيف كله ، وكان موقفاً بالثمر تبدو عناقيد الحمرة والبيض من خلال الورق الأخضر كأنها عقود اللؤلؤ والياقوت ، يمتد إلى حيث لا يدرك البصر حافلاً بالحياة ، فرآه قد اصفرّت أوراقه وعطل من الثمر وعاجله الخريف فذوت أوراقه واستأقظت نظير مع الريح ؛ ورأى أشجار الشمس التي كان يصورها دائماً عن عيين الكرم خضراء زاهية ، قد تجردت ولم يبق عليها إلا أوراق صفراء جافة ؛ ثم هبت رياح باردة من رياح الخريف فلفحت وجه سعد ، وحملت هذه الأوراق الداوية فالتفتها في منطرتة فكان يسمع لوقعها تحت المطر صوتاً حزيناً مؤلماً ، فشم سعد بالأسى يملأ قلبه ... سيضطر غداً إلى فراق هذه النظرة الحبيبة ، وهذا الكرم الذي ثابر على حراسته عشرين سنة وتملقت حياته به ، وانتثر قلبه في أرجائه ، فأصبح جزءاً من حياته وقطعة من نفسه ، لا غنى له عنه ، ولا حياة له بدونه ... لقد ملأوا

(١) الضبير قرية كبيرة شمال دمشق إلى الشرق على سيف البادية

قال المتنبي :

لئن تركنا ضيقاً عن ميامنا ليحدثن لمن ودعتهم ألم

لم يكن يعرف أنه يحبها ولكنه لم يكن يستطيع أن يعتمد عليها أو أن يمر عليه يوم لأراها فيه ؛ وإذا هو لقيها وذهب معها يلعب أو يري العنزات أو يسوق البقرة إلى المزرعة أو يملأ الجزء من العين ، إذا كان معها ينسى الدنيا كلها ولا يفكر في شيء ...

ذكر حين جاء هذه النظرة أول مرة مع عمه وابنة عمه ليلي وحين تركه عمه مع ليلي لينزل إلى دمشق ، وأوصاه بأن يعتنى بها ، ويحرس الكرم ...

— لقد صرت شاباً يا سعد . كن عاقلاً وشجاعاً . لا تدع ليلي تنزل في الليل من المنطرة . إذا رأيت وحشاً أو سارقاً فاطلق عليه النار . لا تخف من شيء ... هذه هي البندقية ...

وذهب عمه ، وهو يتبعه بصره . فلما غاب عن عينيه أحس سعد بأنه غدا منذ تلك اللحظة رجلاً ، وأنه هو حامي ليلي ، وحارس الكرم ، وأنه يستطيع أن يطلق النار من البندقية كما كان يفعل عمه تماماً ، وتعني من كل قلبه أن يرى وحشاً أو لصاً ليرى ليلي شجاعته ورجولته ، ولكنه لم ير شيئاً .

ذكر كيف قضى الليل مع ليلي ، وكانت ليلة قمر رخيصة النسيم لطيفة . فتحدثا وتبادلا النكات ، وأحس بلذة لا تشبهها لذة ، ولكنه لم يحسها بيده ، ولم يذكر لها كلمة الحب لأن الشرف والأمانة كانت شعار الشباب في تلك الأيام ، وليلي ابنة عمه وعمره اثنعنه عمه عليها ، والله شاهد عليه ...

وقفز به الفكر إلى بلده الصغير ، وقد كبرت ليلي وحجبت عنه فلم يعد يراها إلا على العين أو في الحقل ؛ ولم يكن يتمتع بالحجاب من رؤيتها لأنه حجاب شرعي يظهر الوجه والكفين ويستر كل شيء ، لا كحجاب المدن الذي يستر الوجه بقماش رقيق يزيد فتنة وجمالاً ثم يكشف العنق والصدر والساق وما فوق الساق ، ويظهر الكف والساعد ... فكان يحذنها ويصحبها في الطريق ؛ ولم يكن بينهما سوء ، لأنها خطيبته المساة عليه منذ كانا صغيرين ... فهي له ، ولم يجرؤ شاب في القرية على خطبتها احتراماً لسعد ، وخوفاً من بطشه ...

ومرت في ذهنه صورة العرس وحفلاته ، ووفود القرى المجاورة والولاثم العامة في الساحات والطرق ، و (الديكات)

أمس آخر صندوق (سحارة) من العنب جموه من بقايا العناقيد ولم يبق في الكرم ما يحرسه ، فشمر كأنه بفارق ولدأ عزيزاً عليه ، قد رياه وتمهده بالنهاية ثم فقدته ... أو لم يرافق الكرم وهو لا يزال حصرماً ؟ أو لم يتممه حتى نضج وأينع ؟ أو لم يشاهد التجار كل مساء وهم يأتون ومعهم العمال بالمشرات يملأون صناديق (سحاحير) العنب ، وهم يغنون ويصيحون ويترعون القضاء أنساً ؟ كم بين هذا المشهد وبين مشهدهم أمس وهم يملأون آخر (سحارة) صامتين تلوح على وجوههم أمارات الحزن والكآبة ؟ لم يستطع سعد أن يراهم على هذه الحال فأنسل إلى منطرتهم ووضع رأسه بين يديه يفكر حزناً ملثاعاً ...

جلس سعد يتأمل هذا المشهد ذاهلاً غائباً عن نفسه والمطر يشتد ويقوى ، والماء ينغذ من سقف المنطرة ، وكان سقفها من ورق الكرم الجاف ، ويطل رأسه وثيابه لا يحس به ولا يحفظه لأنه ابن البر وصديق الطبيعة ، ولأنه كان ذاهلاً عن نفسه لم يصح حتى أسدل الليل ثوبه الأسود على الدنيا فغيب تحتها هذه المشاهد كلها ... صحا سعد فتفقد الماء عن شعره وثيابه ، ونشر خيمته فوق رأسه لتمنع عنه المطر ، وأوقد مصباحه الألمانى الذى يظهر للسائرين في هذا المرقب المالى كأنه نجم من نجوم السماء ... وجلس يفكر ...

ذهب به الفكر إلى بعيد . فذكر حين جاء هذه النظرة مع عمه وابنة عمه ليلي ، وكان ذلك قبل أحد عشر عاماً . لقد كان في السادسة عشرة ، وكانت هي في التاسعة من عمرها ، وكان عمه ناطور الكرم يحرسه منذ ثلاثين سنة ، وهو الذى بنى هذه المنطرة وأعاد بناءها أكثر من عشرين مرة إذ كانت تهدمها الرياح والأمطار والسيول . لقد تصوّر عمه بقامته العالية وجسمه اللين وظهره الذى انحنى قليلاً تحت أعباء الزمان ، ولحيته البيضاء ... لقد كان عمه قوياً شجاعاً وكان سعد يمجّب به كثيراً كما كان يحب ابنته ليلي ... أحبها منذ كانت طفلة ولكنه لم يكن يعرف أنه يحبها ، ولم تكن كلمة الحب دائرة على السنة القرويين ، بل كان من العار على الشاب أن يذكرها افتاة ...

يودع ما فيها من ذكريات لذة هي أغر ما يملك في حياته ، ثم نزل
إلى دابته والفجر بهم بالانبثاق ...

راقه سكون الليل وجمال الفجر وهذه الكروم الواسعة التي
استيقظت وتسربت إليها خيوط النور من ناحية الشرق فأضاءت
صفحتها ، فاشتد به الحنين إلى زوجته وولده ، وشعر أن جبه لها
قد نما في هذه الساعة وازداد وطني على نفسه ، فجعل يتصور
حركاتهما وسكناتهما ، وكيف يخرجان لاستقباله ، وكيف يتعلق
به يسار فيرفعه إلى وجهه وقبله ؛ ورفرت في أذنيه كلمة (بابا) حلوة
مستحبة ، وشعر بعالم من الحب والمطف والوثام ينمره ، حتى
أحس بنفسه يطير على متن الهواء في حلم فائن لذيذ ، فانطلق يشي
شتى الأغاني القديمة وصوته المذب القوي يشق السكون ويوقظ
الطبيعة ، فتجاوبه الديكة من الكروم المجاورة بزقائها ، والعصافير
بستقفتها الحلوة

أشرف على البلد ضحى ، فتأمل الفضاء فلم يصر شيئاً ، أين
البلد ؟ هل أخطأ الطريق ؟ أم هو لا يزال بعيداً عن البلد ؟ لقد
نظر حوله وأنهم النظر فلم يشك أنه حيال البلد . لقد سلك هذا
الطريق مئات المرات ، ويستطيع أن يسلكه مغمض العينين ،
فكيف يخطئ أو يضل ؟ لا شك أنه على صواب ، وأنه قد وصل ،
ولكن أين البلد ؟ وأحسن سعد كأنه قد بدأ بجنى . آتحتني بلد
برمتها أيها الناس ؟

ودنا حتى وصل البلد ، فلم يجد إلا أكواماً من التراب مبتلة
عليها آثار الماء ، تتخللها برك ماله من آخر ، وحجارة مثورة في
البادية ثرا ، فجنى جنونه ، وانطلق يصيح : ليلى ! ليلى ! يسار !
يسار ! ليلى ... ويهم شاردأ على وجهه ، يدور بلا وعي ، وإذا
بشيخ مسن من حكاء القرية يهتف به ثم يأخذه من يده ، فيقبه
سعد صاعراً ، حتى يجلسا على كومة من هذه الأكوام ...

— هذه حال الدنيا يا بني ... إن لله حكمة لا يعلمها أحد ،
فلنصبر ولنرض بالواقع ، الحمد لله على كل حال ...

— ولكن ماذا جرى يا عم ؟ أين ليلى ، أين ابني يسار ؟

— هذا قضاء الله يا بني .. لقد كنت نائماً ليلة أمس فسمعت

والأهازيج ... صرت في ذهنة مرأ سريماً ، فأبصرها حية قرية
كأنما كانت أمس ، وقد كانت منذ سبع سنين لم يرها من
زوجته ليلى إلا ما يعجبه برضيه . ولم تغضبه مرة واحدة . كانت
تحيا من أجله ، تهبي له الطعام وترتب الدار ، وتنتظره حتى يجيء
من عمله . فإذا جاء رآها قابعة وراء الباب منتظرة قبلت يده ، ثم
أعانت في نزع ثيابه ، وصبت على يديه الماء حتى يتوضأ وينسل
رأسه ووجهه بالصابون ، ثم قدمت إليه الطعام ، ولم تدخر وسعاً في
تسلية وإيناسه . وإذا كان كئيباً أو مهموماً رفعت عنه وواسته .
وأضاق مرة ولحقه الدائنون حتى هددوه بالسجن من أجل
عشرين ليلة ، فلم يشمر إلا وزوجته تقدمها إليه زاعمة أنها قد
وفرتها من نفقات المنزل ، فصدمها ووفى دينه ؟ ثم علم بعد أنها
باعت حليتها التي لا تملك غيرها ...

كانت مثال الزوجة الشرقية المسلة التي تعيش لبيتها وزوجها
وتتخذ سيداً لها ؛ وكان هو مثال الزوج الوفي الصالح الذي
يشتغل ويحيا زوجته وبيته ، ليس له سهرة ولا خلية ولا عادة من
العادات السيئة التي تذهب الأموال وتشق العيال ...

ثم ذهب الفكر بسعد إلى ولده ، ولده الوحيد يسار ، فهاجه
الشوق إليه ، وبرح به الحنين إلى بيته ، وغلب على جبّه لهذه
الأرض وتعلقه بها . وكان الليل قد انتصف ولم يذق سعد مناماً
فنهض ورفع طرف الخيمة فنظر فإذا السماء صافية قد انقشمت
عنها القيوم ، وطلع القمر من وراء الأفق هلالاً ضعيفاً يلقي على
الدنيا نوراً كائياً ، فرأى الكرم أسود مظلماً فعاوده الحنين إليه
والحزن على فراقه ؛ وكانت منزلة الكرم من نفسه كمنزلة
زوجته وولده ، بل كانت هذه النظرة أحب إليه من بيته . وجعل
يتأمل الكرم فامتلاً قلبه أسمى ؛ وذكر ليلى ويساراً فأزعم الرحيل
ولكنه اضطر إلى انتظار الفجر ، ولبت صامتاً قلب عليه التماس
فأغنى إغفاءة قصيرة ثم نهض مذعوراً يرتجف . لقد رأى حلماً
مرعباً فتعوذ بالله وسأله أن يحرس زوجته وولده ، ولم يطق البقاء
فقام يجمع أمتعه — وما أمتعه إلا فراش ولحاف وبساط وخيمة
وصندوق صغير فيه قدر وأطباق وإبريق للشاي — وبقى على
النظرة النظرة الأخيرة كأنه يريد أن يثبت صورتها في نفسه ، وأن

التشريع والقضاء

في العهد الفرعوني

للأستاذ عطية مصطفى مشرفة

— ٤ —

—>>><<<—

أما الزواج عندهم فكان نوعين : زواج مدني تكتسب فيه الزوجة بالشراء ، وكان شبيهه في روما الزواج المعروف باسم *Complio* الذي كان خاصاً بالعامّة ؛ وزواج ديني يقصد على يد أحد الكهنة ، وكان يقابله عند الرومان زواج *Ontarreatio* الذي كان قاصراً على الاشراف . وكان التبع أن يحصل الزواج المدني قبل الزواج الديني الذي يقوم بعقده أحد رجال الدين ؛ فكان الزواج بذلك يتم أولاً على حسب الأصول القانونية للمدينة بطريق الشراء ثم يحصل الزواج الديني بعد ذلك

وكان ينص في عقد الزواج على العلاقة المالية بين الزوجين ؛ وكان هذا الاتفاق المكتوب في صلب عقد الزواج لا يخرج عن طريق من ثلاث : أولها أن يفصل مال الزوجة عن مال الزوج ، وفي هذه الحالة يكون للزوجة أن تتصرف في مالها دون إجازة زوجها . ثانيهما أن يخص بعض أو كل أموال الزوجة لمساعدة الزوج للقيام بالاتفاق على الأسرة ، وفي هذه الحالة يجب على الزوج ردها بعينها إذا كانت عقاراً أو ردها بقيمتها المبنية في صلب عقد الزواج إذا كانت منقولاً . وثالثها أن يشترك الزوجان في بعض الأموال أو كلها . وسمح القانون للزوجة بأن تشترط في عقد الزواج أيضاً أن يدفع لها الزوج مبلغاً معيناً ككرامة ونفقة لها إذا طلقها الزوج فأعطى لها حق الرهن العام على جميع أموال زوجها ضماناً لا يكون لها من الحقوق عليه . فلما جاء بوخوريس في القرن الثامن قبل الميلاد وضع القوانين التي تعتبر بحق أصل التشريع الحديث وأعطاه صفة مدنية بعد أن كانت ذات صفة دينية . ولقد تأثر بوخوريس عند وضعه شرائعه بقوانين حلفائه الآشوريين والكلدانيين فأخذ عن الكلدانيين مبدأ التعاقد بالكتابة ، فبعد أن كان العقد يتم عند قدماء المصريين قبل بوخوريس بقسم وبحضور

ضجة في الطريق وانطفاً ، نخرجت فإذا الناس مجتمعون ، وعلى وجوههم أمارات الدعر الشديد ، وهم يصفون في خوف شديد ورعب بين ، إلى صوت يحجب آت من بعيد ، فأصنيت فإذا صوت عميق مستمر لا ينقطع ، فجزعنا ولم ندر ما هو ؟ فقاتل إنها ريح ، ولكنه ليس بصوت ريح ، وقاتل هو من أصوات الجن ، وقاتل إنه رعد ، وما هو كذلك ، فوقفنا وتهايانا للنضال ، وحملنا السلاح ، وكان الصوت مستمراً ولكنه جعل يقوى ... ويقرب حتى تبينا فيه هدير الماء ... إنه السيل ! السيل ! وطاردت هذه الكلمة على الأفواه ، فأسرع قوم إلى بيوت القرية العالية ، يحسبونه سيلاً كالذي عرفوا من السيل ، لا يبلغ هذه البيوت ؛ وخاف قوم فأسرعوا إلى الجبل ، وقد أعجمهم الخوف فلم يأخذوا معهم غطاء ولا وطاء ، وكنت ممن أمّ الجبل — وليلى ؟ وليلى ويسار ؟

— لقد بقوا في البلد ... اسمع يا بني ، إنها لم تكن إلا ربيع ساعة حتى بدا الهول ، نمود بالله ... لقد أقبل سيل علوه أكثر من أربعين متراً ، يتكسر ويقذف بالصخور والحجارة والأشجار فغمر أعلى بيت في المدينة ، واختلط هديره العاتق بصراخ النساء وصياح الأطفال وأصوات الشباب ... — وليلى ويسار ؟

وانحنى سعد على قدمي الشيخ قبلهما يجنون ويصرخ :

— وليلى ويسار ؟ أرجوك يا عم خبرني عن ليلى ويسار ؟

قال الشيخ :

— لا حول ولا قوة إلا بالله ... لقد أصبح الصباح وليس في المدينة ججر على حجر ، ولم يبق ممن كان فيها أحد . لقد وجدت الجثث طافية على وجه البرك وغارقة في الوحل ومطمورة بالأتقاض ، وجثث حملها معه السيل إلى بحيرة العتية ، ولم ينج إلا من كان على الجبل ، بقي بلا مأوى ولا مال ...

— وليلى ويسار ؟ وليلى ويسار ؟

ووثب سعد هائماً على وجهه يصرخ ويتنادي :

لقد جنّ « سعد الخطار » حزناً على ليلى ويسار !

على الطنطاري

« بيروت »

شهود أصبح لا يجوز إثبات حق مدعى به إذا أنكره المدين إلا إذا ثبت بدليل كتابي ، وبذلك أصبح زوال الدين مرهوناً باعطاء سنده . ثم أوجب تسجيل العقود عند كاتب التسجيل في سجلات مخصوصة نظير رسم معين فأصبح من السهل على أى شخص إثبات صحة سنده .

أخذ بوخوريس أيضاً عن الكلدانيين المشتغلين بالتجارة نظام الفوائد فحدها وحرم أن تزيد الفائدة السنوية على ثلث رأس المال ، كما حرم أيضاً زيادة الفائدة على ضعف أصل الدين مهما طالت المدة . وحرم بوخوريس الربح المركب ، وحرم إكراه المدين الجفائي ، وأبطل استرقاق المدين عند عدم الوفاء ، وجعل التنفيذ قاصراً على أموال المدين دون شخصه .

أما في الأموال فقد اعترف بوخوريس بالملكية العقارية للأفراد بعد أن كان لهم فقط حق الاستغلال دون حق الرقبة ؛ وبذلك أباح بتشريعهم هذا حق التصرف في الأراضي بمقود عرفية ، وبذلك أصبحت تلك الأراضي ضامنة لتعهدات الأشخاص عند عدم وفاء الدين بعد أن كان ضمان الدائن قبل ذلك جثة والد المدين ؛ وكان إذا لم يتم الدين بوفاء دينه قبل موته يحرم من ميزة الدفن وحفلاته .

أما في الإيجار فقد رتب بوخوريس على عقده أن تصبح جميع أموال المستاجر مرهونة رهناً عاماً لوفاء الأجر المتفق عليه . والنبي بوخوريس الزواج الديني الذي كان يتم على يد الكاهن وأصبح الزواج مدنياً ، واكتفى بالرضا فيه ليتم كباقي العقود . وكان للذكر مثل حظ الأنثى في الميراث . وكان لا يجوز للرجل أن يتزوج بأكثر من زوجة . وجعل بوخوريس حق الرهن العام الذي للزوجة على أموال زوجها يتم بقوة القانون دون حاجة للنص عليه في صلب عقد الزواج كما كان متبعاً قبل ذلك .

من ذلك نعلم أن اصطلاحات بوخوريس التشريعية شملت الأموال والأحوال الشخصية والالتزامات ، وبذلك أوجد للمصريين قانوناً عادلاً للتجارة والمعاملة . ويؤسفنا أن نقول : إن هذه الاصطلاحات التشريعية التي قام بها هذا الملك لم تبق طويلاً لأنه قد قد عمره به منذ نحو سبع سنوات فاستولى الآثميونيون على مصر وأسماها الأسرة الخامسة بعد العشرين . وكان أول عمل

لهم أن أبطلوا العمل بشرائع بوخوريس وأنفوا الملكية الفردية العقارية ومنحوها للإله آمين ؛ وبذا اقتصرت ملكية الأفراد على حق الاستغلال دون الرقبة ، وسمح لهم بأن يتصرفوا داخل دائرة أسرهم فقط وبعد موافقة كهنة آمين لهذا التصرف في مقايضة أرض بأرض . ولما ظهر الملك أمازيس أو أحسن الثاني — وهو من ملوك الأسرة السادسة بعد العشرين — حتم على كل مصري أن يثبت في آخر كل سنة اسمه ولقبه وصناعته وسبل تربيته في سجل وضع خصيصاً لهذا الأمر في محكمة الجهة القاطن بها ؛ وهذا النظام المبني على تقسيم العمل وارتباط المصري بكان نشأه كان سبباً في تماسك أفراد الأمة ورفقها اجتماعياً واقتصادياً وصناعياً ، وكان عاملاً قوياً في توزيع الفلاحين على الأراضي الزراعية .

نأثرت شريعة أمازيس بالشريعة الإسرائيلية بعض الشيء فأخذت جزءاً كبيراً من مبادئها عن اليهود اللالين الذين كانوا مقيمين بمصر إذ ذاك .

أرجع أمازيس العمل بقانون بوخوريس فأباح لأصحاب الأراضي حق التصرف التام في أراضيهم بأن أعطاهم حق ملكيتها التامة ثم أرجع مبدأ ثبوت العقود بالكتابة واحتفظ بمبدأ الفوائد القانونية التي قررها تشريع بوخوريس ، وجعل الالتزام بمقد مزمن لطرف واحد ، وأدخل طريقة الاشهاد في الميزان في سائر العقود الناقلة للملكية وفيها البيع ، فكانت تطبق على المنقولات الجمادة ، المراد نقل ملكيتها ، وعلى المنقولات الحية كالحيتوانات والمبيد كما طبقت على العقارات لصيغة شكلية كما كانت تطبق أيضاً في التبنّي ، وكان يجب لإتمام العقد من وجود ميزان وقطعة من النحاس والعين المراد نقل ملكيتها ، فيحضر طرفا العقد والشهود ، وهنا يمسك المشتري بالعين المراد نقل ملكيتها مقررراً أنه اشتراها بالثمن المقدّر بالميزان ، ثم بضرب الميزان بقطعة النحاس مشيراً بذلك إلى وزن الثمن . لذلك كان الميزان يستخدم لترضين : أولهما وزن العين ، وثانيهما وزن الثمن ؛ وكان يحرم بهذه الاجراءات عقد كتابي .

وكان يطبق في الزواج اجراءات الاشهاد بالميزان ؛ وكان

حكمة أن العقاب قاصر على المجرم لا يتمتع إلى غيره
وكانوا يبيحون إقامة الحدود على الأموات كما تقام على الأحياء
فيتمنون من أتى جرماً ومات قبل تنفيذ الحكم عليه من الدفن
مع الاحترام

وكانوا يحكمون بالجلد على كل من سب غيره أو وشى به . وكان
جزاء الآباء والأمهات الذين يقتلون أولادهم ذكوراً كانوا أم إناثاً
معاقة الجثة والبقاء بجانبها ثلاثة أيام بلياليها تحت رقابة الحراس
العموميين

وكانوا يحكمون بسلب لسان من يهدى عدواً مهاجماً إلى السبل
أو يطلعه على أسرار وطنه ومواضع الضعف فيه . وكانوا يقطعون
يد من يطفف الميزان والكيل ، أو من يزيف النقود ، أو يقلد
خاتم الأهالي والسلطان ، أو يزور في العقود العرفية أو الأوراق
الرسمية . وكانوا يقصرون العقوبة على العضو الذي قام بعمل الجريمة
وكان يشهر على رؤوس الأشهاد بكل ولد لم يقم بالإفناق
على أبويه العاجزين عن الكسب ، وليس للولد على الوالدين مثل
ذلك . ويحكم بالتشهير أيضاً على كل جندي فر يوم الزحف أمام
العدو ، وعلى كل من لا ينفذ أوامر رؤسائه . وكان لمن حكم
بتجريدته من شرفه وفضيحته أن يسترد شرفه واعتباره ، وبذلك
تنمحي العقوبة نهائياً إذا قام بأعمال مجيدة بعد ذلك لوطنه في
ميدان القتال

وكانت عقوبة كل من به عاهة تمنعه من إتخاذ شخص قتله
آخرون أمامه ولم يبلغ الجهات المختصة عن الجريمة ومرتكبها
منع الطعام عنه ثلاثة أيام وجلده . وكان يحكم بهاتين العقوبتين معاً
أيضاً على كل من كاف بالإرشاد عن قطاع الطرق وتسليمهم
للمحاكمة ولم يفعل ذلك . وكان يحكم على المدعى بالباطل على غيره
بنفس الحكم الذي يحكم به على المتهم لو صحت الجريمة . وكان يحكم على
كل من حلف من التهمين أو الشهود بالإله آمن وبالله أن يقول
الصدق ولم يقله بجدة الأنف وسلم الأذنين وبالتالي في أنبوييا أو
إلى ما وراء حدود المملكة

وكان لا من أن يحكم بفقدان الشرف وما يترتب عليه الحرمان
من الوظائف العامة

عطية مصطفى مشرفة

تم البحث ،

الزواج يتم بطريق الشراء ، إلا أن الزواج الديني لم يبلغ بتولي
أمازيس ، إذ ركن إليه نفر من المصريين التبعدين . وبذلك بقي
الزواج الديني أيضاً بجانب الزواج المدني في حكم أمازيس ردحا
من الزمن

ولقد فقدت الزوجة المركز الممتاز الذي كان لها في القانون
القديم وقانون بوخوريس إذ أصبحت في قانون أمازيس هي
وأموالها ملكاً للزوج تحت تأثير الشريعة اليهودية . من هذا نرى
أن أمازيس قد هذب القوانين المصرية وأفرغها بعد أن تقع
قوانين بوخوريس في مجموعة سميت بمجموعة قوانين أمازيس
سنة ٥٥٤ ق . م

وفي عهد الأسرة الثامنة بعد العشرين تولى الملك أمرنوت
أو أمرنوس أو نفيريت واستمر فيه حتى سنة ٣٩٩ ق . م فأمر
بتشكيل لجنة لتعديل مجموعة شرائع بوخوريس وتنقيحها فأدخلت
اللجنة عليها التعديلات الآتية : وهي أن جعلت سريان الفوائد
تبتدىء من يوم حلول ميعاد الدفع ، واعترفت بمقدار الرهن
(الفاروق) الذي فيه يطمى الدين عقاره للدائن يستفله وينتفع
به لنفسه حين تمام وفاة الدين . وقد استمر العمل بهذه المجموعة
المعدلة بمصر أثناء المدة الباقية من العهد الفرعوني . أما قوانين
قدماء المصريين الجنائية فقد صاغوها في مواد كفلت لهم استتاب
الآمن واطمئنان الشعب وقطع دابر البطالة ومنع الفسح والتدليس
إلى غير ذلك ؛ وذلك بالضرب على أيدي المفسدين ومعاقبة المجرمين
بالعقاب الرادع الزاجر ، فكانوا يحكمون بالاعدام بقطع الرأس أو
بالشنق على كل من يخلف يميناً كاذبة أمام الحاكم ، وعلى كل من
يقتل نفساً عمداً بغير حق مع سبق الإصرار سواء أكان المجنى
عليه حراً أم عبداً ، وعلى كل من رأى إنساناً يشرف على الهلاك
وكان في مقدوره أن ينجيه ولم يفعل ، وعلى كل من قدر على
تخليص المقتول من القاتل أو القنلة بدون حق ولم يخلصه ، وعلى
كل من ظهر أنه يمشي بطريق غير شرعي

وكان يحكم بالمذاب ثم بالحرق حياً على كل من يقتل أحد
أبويه عمداً ، فتقطع أصابعه أولاً ثم يحرق . وكان الحكم لا ينفذ على
الحبل حتى تضع حملها لثلاثا يعاقب الطفل البريء ، وبذلك سنوا لنا

أبو الفرج الببغاء - للأستاذ عبد العظيم على قناوى

- ٣ -

يا طيف من أنا عبده من أين لى شكر يقوم ببعض ما توليه
ينأى فتدنيه إلى على النوى فأراه كالتحقيق فى التشبيه
ما كان أحسن حالى لو أن ما أوتيت من كرم وعطف فيه
ولا يساورنى شك فى أن هذه الأيلى أروع خيالاً وأسطع
فى معناها جلالاً من أبيات تحاكيها للبحرى قال :

طيف الحبيب ألم من عدوائه وبعيد موقع أرضه وسماه
يهدى السلام، وفى اهتداء خياله من بعده تحجب وفى إهدائه
لوزار فى غير الكرى لشفاك من خيل النرام ومن جوى برحائه
الحق أن ديباجة أبيات البحرى ناصعة بجلوة ، ونسجها
مجل مفوف ، ولكنى مع هذا أرى العجب العاجب من تحجب
البحرى لاهتداء خيال محبوبه إليه من بعيد عدوائه ونأى صحرائه
 وإهدائه السلام إليه . فكيف يكون حبياً من يضل حبة طيفه مهما
نأى عنه جسمه ؟ ومن هو أولى من الحب المستهام بإهداء السلام ؟
ولعل خيل النرام هو موحى ذلك الخيال ، وإلا فمن يحدد حتى
غير المشاق - أن الأرواح تتناجى وتتواصل ، والقلوب تتألف
فتتراسل ؛ سواء فى ذلك تباعدت الأجسام أو تقاربت ، وتناهدت
الأبدان أو تدانت ؛ فتلك حقيقة لا سبيل إلى نكرانها . وهلا قال
كما قال أستاذه أبو تمام :

استزادته ففكرت فى المنام فأنانى فى خيفة واكتام
فاللبالى أحنى بقلبي إذا ما جرعته النوى من الأيام
يا لها ليلة تزهت الأر واح فيها سراً من الأجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير أنا فى دعوة الأحلام
واستمع إلى هذا المتب الحلو المبارة ، الرقيق الإشارة ،
والاستعطاف البارع اللطيف يكشف به لجيبه عن غرام ويستوحيه
فيه وصله ، إذ يره أن خياله أعظم به رافة وطيفه أكثر عليه
عطفاً ، إذ يواصله فى غفوة العيون ؛ ولو أنه وجد سبيلاً إلى المواصله
فى اليقظة وعلى مسمع الرقاء لفعل ؛ لحظره عليه السنه ومنعه عنه
النوم ، قال :

خيالك منك أعرف بالنرام وأرأف بالحب المستهام
فلو يستطيع حين حظرت نوى على لزار فى غير المنام
ومن غزاله المذب ووصفه الدقيق المتع قوله :
يا من تشابه منه الخلق والخلق فما تسافر إلا نحو الحديق

لأبى الفرج الببغاء فى أحاديث الطيف ومناجاة الخيال شعر
أنعم حسنا وجودة وعدوية وحلاوة ، وممان ملئت جلالاً وروعة
وصفاء ورقة ؛ حتى لكأنى به قصد إلى أن يعيل ذوى الصبوة
والهوى إلى وصال طيف الحبيب ورحمته لاشخصه وجسمه ، فهو
بسلهم كيف يتسلون بمناجاة القلوب عن مداعبة المحبوب ،
ويدعوهم مقتناً إلى هذا اللون من الوصال الذى لم يدعهم إليه قبله
أحد فى مثل رشيقة تعليله وبديع تصريفه ومجيب لعه بالخيال
وجيل استلهاه المعاني ، فمن ذلك قوله :

علت طيفك إسما فى ما هجعت عيناى إلا وطيف منك بطرقى
فكيف أشكر من إن نمت واصلنى

بالطيف منه وإن لم أغف قاطنى ؟
فن من المشاق المولهن لا يرقب أن يسمه ذلك الطيف
الطارق ، ولا يشتري الكرى بكل ما يملك إذا علم أنه لا سبيل
سواء إلى الوصال ، وهو داعية التمتع بالحن والجمال ، وإن الغفوة
نهزة رسول الحبيب ، ينتهزها ليشفي بها حر الوجيب ؟ وأين من
هذا قول ابن المعتز فى مثل هذا المعنى وهو ملك الشعر ولا سيما
فى هذا الضرب :

شفتانى الخيال بلا حدة وأبدلنى الوصل من صده
وكم نومة لى قوادة تقرب رجبى على بعده
وإنها لجفوة جافية - لا نعرفها فى ابن المعتز - ألا يحمد
من يشفيه ، وألا يستحق شكره مبعوث حبيبه المصطفى ،
وينسب ذلك إلى نومة قوادة لا تستاهل حمداً ، ولا يستجيز لها
أحد شكراً ، لأنها أنت شيئاً نكراً لا أظن ابن المعتز يستحيه
لنفسه فى اليقظة ، فكيف يستملحه فى الغفوة ؟ ولو أنه قال :

وكم نومة لى مزدانة بوصل حبيبى على بعده
لكان - فيما أرى - أكثر توفيقاً وأنبى خيالاً وأعف لفظاً
وأكرم جبا . وما قاله أبو الفرج فى الطيف أيضاً :

توريد دمي من خديك غتلس

وسقم جسمي من جفنيك مسترق

لم يبق لي رفق أشكو هواك به

وإنما يتشكى من به رفق

ومثله قول أبي فراس الحمداني ، وكأني بهما ينهلان من معين واحد ، أو أن أبا الفرج جرى في ميدانه لما أعجبه حسن يباه ؛ وما من عابٍ عليه أن يسير على نهج أبي فراس ، فهو في الشعراء ملك وفي الدلياء فلك ، قال :

وشادن قال لي لما رأى سقمي

وضعف جسمي والدمع الذي انسجا

أخذت دمعك من خدي وجسمك من

خصري وسقمك من طرفي الذي سقا

وترى أن يتي أبي فراس أنضر معنى وأوفر حسناً ، وأجزل رقة وأجل دقة من أبيات أبي الفرج ، وإن كلمة تسافر لنائية في مكانها ، قلقه في موضعها ، لأن الحدق لا يسافر ، وإنما هو ينتقل أو يتحول ، كما أن السقم لا يسترق إلا إذا كان مسترقه يسرى إلى حنقه بظلفه كما يقولون

ولو أنا أردنا لغزله العنيف استقصاء ، ولنسيه الطريف إحصاء ، لطال بنا الشوط وما بلغت الناية ؛ فلنختم غزله بأبيات بحث بها إلى حبيب رمدت عيناه فأبدع أيما إبداع في الأسى لأساء ووصف حمرة عيني حبيبه ، وهي تلك التي تقضى لرؤيتها العيون ، وتتأذى من النظر إليها الأبصار وصفاً جعلها مما يسعد لرؤيتها الطرف ، وصورها تصويراً تطمئن له النفس ، قال :

بنفسى ما يشكوه من راح طرفه وزجسه مما دهي حسنه ورد أراقت دمي ظمناً محاسن وجهه فأضحى وفي عينيه آثاره تبدو غدت عينه كالخلد حتى كأنما سقى عينه من ماء توريد الخلد لأن أصبحت رمداء مقلّة مالم يكني لقد طالما استشفيت بها أعين رمد

والوصف في شعر أبي الفرج له المقام الأول ، فجّل فنون شعره بحليها الوصف ، وتنظم التشبيهات الدقيقة الخلابة ، والأوصاف الباهرة الجذابة ؛ وإن وصفه ليلغ ذروة الإجابة والإحسان ، ويصل إلى منتهى الجمال والجلال عند ما يصف الحرب ، أو ما يتصل بها من حشد الكتائب وتسيير الجحافل ؛ وقد عرفنا أن طبيعة كل امرئ أن يحسن فيما يحبه ، وأن يجيد

القول فيما يرغبه ، فعمل أبا الفرج كان من رجال الحرب وأبطالها . أصخ إليه بصف جيش سيف الدولة ، فإنه ليصك الأذان بريح الحرب تدوى في قصيده ، فقصف الرعد وزمرته دون صهيل الخيول ، ووميض البرق ولعانه لايلتان بريق السيوف ، وحوافر الخيل أهلة ونجوم تنافس ذكاه ، تلك قضى في السماء ، وهذه تتطاررجوماً للأعداء ، وعين الشمس قد طرفها بشيره ولكنها احتملته وجعلت منه إثمداً تكتحل به وتستشفى ؛ كل ذلك في ألفاظ بجزلة وعبارات ضخمة ، وطبع قوي ، وخيال سرى ؛ لا ينال من جماله ناقد ، ولا يحط من جلاله حاقد ، قال :

قاد الجياد إلى الجياد عواباً شعثاً ولولاً بأسه لم تنقد في جحفل كالسيل أو كالليل أو كالقطر صافح موج بحر مزبد متوقد الجنبات يمتنق القنا فيه اعتناق تواسل وتودد مشعجر بظبا الصوارم مبرق تحت النبار وبالصواهل مرعد رد الظلام على الضحى فاسترجع الإظلام من ليل المجاح الأربد وكأنما نقشت حوافر خيله للناطرين أهلة في الخلد وكأن طرف الشمس مطروف وقد

جعل النبار له مكان الإثمجد وهذه أبيات من قصيدة أخرى يمدح بها أبا شجاع فأتاك بن يانس ، ويصف فيها إحدى وقائمه الحزينة التي خلدها هذه القصيدة بما جاء فيها من تشبيه رائع ، ووصف جامع . وأى خلود لموقه انقلب نهارها ليلاً غاسقاً ، لا يكشف حلكتها إلا كره الفرسان في الميدان ومبادلة الضراب والطمان ، بأسياف لامة ، وسوارم بارقة قاطعة ، حتى استحال البر ببحراً بما سال في جنباته من دماء الشجعان ، ورأى الأعداء أن الفرار رمز الاتصبار ، وأن أعظم فروسية يعتز بها أن يستطيعوا إعطاء الجياد القيادة ، لا أن يثبتوا للجلاد والنياد . قال :

واليوم من غسق المجاجة ليلة والكري يخرق سجعها المدودا وعلى الصفايح من الكفاح وسدقه

روح أحال ياضها توريدا والظمن يقتصب الجياد شياتها والضرب يقدح في التريك وقودا وعلى النفوس من الحمام طلائع والخوف ينشد صبرها المفقودا وقد استحال البر ببحراً والضحي ليلاً ومنخرق الفضاء حديدا وأجل ما عند الفوارس حنّها في طاعة الحرب الجياد القودا

تقوش وتصارير، تحسده عليها كؤوس لم تزل مانال من زينة
منحته شعراً خالداً :

كم منة للظلام في عتقٍ بجمع شمل وضم معتق
وكم صباح للراح أسلى من فلق ساطع إلى فلق
فعاظنها بكراً مشمعة كأنها في صفائها خاق
في أزرق كالهواء بخرقه اللحظ وإن كان غير منخوق
كأن أجزاءه مركبة حسناً ولطفاً من زرقة الخلق
مازلت منه منادماً لبكاً مذ أسكرتها الشفاء لم تنق
تختال قبل الزاج في أزرق الفجر وبعد الزاج في الشفق
تنرق في أبحر الدمام فيستنقذها شربنا من الفرق
فلو ترى راحتي وزرقته من صبغها في معصر شرق
خلت أن الهواء لاطفى بالشمس في قطعة من الأفق
وحسبنا من وصفه المنع ما قدمناه ففيه صورة رائدة له ،
ورسم صادق لشعره ، يملأ النفس روعة وإعجاباً . وإلى عدد نال
نذكر أمثلة لبقية أغراض شعره ونماذج من ثمره إن شاء الله
عبد العظيم علي قناري

حتى إذا ما فارق الرأي الهوى وغدا اليقين على الظنون شهيدا
لم يكن غير أبي شجاع والملا عنه تناجى النصر والتأييدا
وتكفينا في وصف الحرب هاتان القطعتان فهما تغنيان عن
قصائد وتبينان عماله في الوصف الحربى من قدم راسخة وأخيلة
سامية ؛ ولتعرض لأشياء أخرى وصفها فأجاد ، فمن ذلك قوله
يصف فرساً :

إن لاح قلت : أدمية أم هيكل ؟ أو عنّ قلت : أسابح أم أجدل
تتخاذل الأخطا في إدراكه ويحار فيه الناظر التامل
فكانه في اللطف فهم ثابت وكأنه في الحسن حظ مقبل
وهو من أجود ما وصفت به الجياد ، ومن أحسن
ما استحدث في تشبيهها بالفهم الثاقب والحظ القبل ، كما أنه أتى
في وصف سرعتها بما لم يأت به الكثير ممن وصفوها قبله ؛ فأى
سرعة تلك التي تتخاذل الأخطا دون إدراكها ، ويحار الطرف
التأمل في معرفة كنهها ؟ ومن قصيدة له في وصف الترجس
وهي من خير ما قيل فيه :

وزرجس لم يعد مبيضه الكأس ولا أصفره الراحا
تخال أخاف لجين حوت من أصفى المسجد أقدا
كأنما تهدي التحايا به لطفاً إلى الأرواح أرواحا
يلهى عن الورد إذا مارباً ويخلف السك إذا فاحا
أحب به من زائر راحل عوض بالأحزان أفراحا
فانهز الفرصة في قربه وكن إلى اللذات مرتاحا
وله يصف الورد ، وقد ألم في الأبيات بوصف مجلس الأئس
فأبدع في الترضين ، وفوق فأصاب في الرميئين ، وأتى بأنواع من
البديع أزهر من أزهار الربيع ، فأشرقت ديباجة شعره عن در
منضود وأسفرت عن جوهر منظوم قال :

زمن الورد أظرف الأزمان وأوان الربيع خير أوان
أدرك الترجس الجنى وفزنا منها بالحدود والأجفان
أشرف الزهرزار في أشرف الدهر قصيل فيه أشرف الإخوان
واجل شمس العقار في يد بدر الحسن يخدمك منها النيران
وأدرها عذراء وانتهز الإمكان من قبل عائق الإمكان
وقال يصف قدحاً أزرق قد صورت عليه سهاويل ورسم عليه

تسلم خضير

٥٠٠
٥٠٠
٥٠٠



٥٠٠
٥٠٠
٥٠٠

برليشة ذهب عيار ١٤

مضمون ٣ سنوات

لستعمله الحكيم كوماتا لشرقية
مكتبة در طبعة خضير بساع عبد العزيز بصر

مقالات اسماعيلية

لأستاذ جليل

—>>><<<—

حل برقادة السبح حل بها آدم ونوح^(١)
حل بها (الله) ذو المعالي وكل شيء سواه ربح^(٢)

هذا (معدن) والخلائق كلها هذا (المز) متوجاً والدين
هذا ضمير النشأة الأولى التي بدأ الإله، وغيبها الكون
من أجل هذا قدر القدور في أم الكتاب، وكوّن التكوين
فأرزق عبادك منك فضل شفاعته وأقرب بهم زلفي فأنت مكين^(٣)

هذا ما وعده العالمون والتعلمون المتقنون قرأه (الرسالة
الهادية) من (المقالات الاسماعيلية)، وإن الناس منذ الأزمنة
القديمة ليتعلمون إلى علم نحلة القوم، وإن الباحثين في الشرق
والغرب ليجدون مقتشين متقين في كل وقت عن تلك المقالات
لينشروها، إذ أنت أهلها في القديم والحديث قد خبئوها
وكنتموها — وبأيت شمري أيا نريدون أن يعلنوها؟ — ولم
تفقدنا كتب (الملل والنحل) مثل الشهرستاني والأشعري وابن

(١) رقادة : بلدة كانت بأفريقية بينها وبين القيروان أربعة أميال ،
والمعروف أن الذي بناها ابراهيم بن احماد بن الأغلب ، وكان تنبئ عبيد الله
الملقب بالهدى عليها سنة ٢٩٧ (معجم البلدان) . وعبيد الله هذا (ويقال
أن اسمه سيد وعبيد الله لقبه) هو جد البيهقي الذين ملكوا في
المغرب ومصر ، وفي نبيه اختلاف كثير كما قال (ابن خلكان) وشرح
حاله يطول

(٢) (الله) : عبيد الله ... والبيتان قفلا فيه حين قدم رقادة ، وما
لبعض الشعراء ، وقد نبأ إلى ابن هاني الأندلسي خطأ ، وأنبئها ناسخ
ديوانه وطابوه فيه

(٣) لابن هاني الأندلسي ، والشاعر لم يسلك فيها يقول طريق الشعراء
في البائنة والغلو بل قال ما يعتقد هو وما يريد ويدعيه (البيهقي) وربما
عد (المز) ابن هاني مقتصد أو مقصراً ، وإن كانت تلك التوبة الساحرة
الفاتنة قد ظفرت بخسة عشر ألف دينار ، والله يرزق من يشاء بغير
حساب ، ومن قول ابن هاني في المز .

هو علة الدنيا ومن خلقت له ولعة ما كانت الأشياء
ليست سماء الله ما تراونها لكن أرضاً تحويه — سماء
جاء بلفظة (ترى) على الأصل

حزم والبغدادى والتصانيف في (مفاضح الباطنية) لمثل القزالي
وابن تيمية — إلا تنفقا نشت من مكتونات الجماعة تنفكا .
وليس هناك كتاب معروف مطبوع ظاهر ألم بمذهب
(الاسماعيليين) إلا (رسائل إخوان الصفاء) فإن فيها خلاصة
الاسماعيلية ملفوفة بإسلامية لف ما كرهه ، وهي الاسماعيلية ،
هي الباطنية ، وهم الدهاة دعاها

وقد توء ما فيها علماء متمقين كأبي حيان التوحيدى
وشيخه أبي سليمان السجستاني وغيرهم في المتقدمين ، وحبر
حاذقين ألعين من المتأخرين من أجمعين وعربيين مثل (باريه
دومينار) والدكتور طه حسين . ولولا أن الأمر استجمع عليهم
ما قال أبو حيان وشيخه مثل الذي رواه القفطي في كتابه (إخبار
للعلماء بأخبار الحكماء) ، وما كان الدكتور طه حسين سطر في
(مقدمته) لتلك الرسائل ماسطر ، ولم يكتب دومينار إلى الأستاذ
أحمد زكي (رحمه الله) ذلك الكتاب . وإذا كان أمثال هؤلاء
البارعين النحارير قد حاروا ودير بهم «فهم في أمر صريح»
فكيف حال من هم دونهم؟

والقصود من هذا الكلام أن (مقالة) الجماعة — وإن
ضممتها تلك الرسائل المطبوعة المنشورة — لم تنفك مستورة محجوبة.
وقد قال لي منذ بضع سنين (الدكتور حسين الهمداني^(١))

(١) كنت قد رأيت في ثلاث صحف ، أشياء في (إخوان الصفاء
ورسائلهم) كلها تحاليف فنتشرت في جريدة (البلاغ) الصبيرة في ٢ سفر
١٣٥٣ مقالة عنوانها (الاسماعيلية ورسائل إخوان الصفاء) منها هذه
السطور : (لنحلة الاسماعيلية دعوتان : دعوة قديمة وأهلها اليوم اسماعيليو
الذين ، ودعوة جديدة وإمامها (آفاقان) المشهور ؛ والأولى لأنتم به ولا
تعرفوه . ومن شعبة الدعوة القديمة الدكتور حسين الهمداني أستاذ تاريخ
الاسلام في جامعة بومباي . قال — حين تلاتينا وقد ذكرنا الاسماعيلية
ورسائل إخوان الصفاء — : إن الاسماعيلية يرون القرآن الكريم كتاب
العام ، الجمهور ، ثم لطف اللفظة فقال : الأمة ، ويرون رسائل إخوان
الصفاء كتاب الأئمة . فعاناه رأينا في تلك الرسائل ثم ذكرنا له الصخافة
وابتناء الايناس قول (المللة) أو دائرة المعارف الانكليزية في الترية
والتعليم (وهي غير تلك الكبرى) في رسائل إخوان الصفاء وهو : (إن
الاسماعيلية قد أفضلت إلى فن الترية والتعليم برسائل إخوان الصفاء) ثم
قائنا له : قد قرأنا تلك الرسائل ولخصنا نحلة الاسماعيلية في هذه المجلة :
(الاسماعيلية قطرة (خسر) بين الاسلام والجماد) فأخرج الدكتور
الهمداني دفترأ وكتب قولنا وقال : ما سمعت بأحسن من هذا (وقد أطلعتني
العلامة الأستاذ (خليل مردم) على رسالة مطبوعة للدكتور الهمداني في
(رسائل إخوان الصفاء) فوجدته قد روى تلك المقالة كلها عن (البلاغ)

اثنين — فرأيت وضعه حتى لا تقتحم العين الصفحة قد اتصن بعض عباراتها ببعض فكذب البصر ، وبهذا الصنع بأمر نكر وقدر هذه (المقالات) عظيم . ومن عزف نحلة القوم أو ألم بها أدرك مما يتلوه مما عليه ما لا يدركه غير العارف ؛ ولو درى شيئاً من اصطلاحات الباطنية الذين قالوا تأهين ضالين ما قالوه في (رسائل إخوان الصفاء) ما جاءوا خابطي عشوة ، وصاروا في عصر البحث والتحقيق ضحكة . ومن قذف بمقال لا ينصره نص ولا بسانده دليل ، فهو هذر ، وكلامه هذر ...

واعلم أن هذه الاسماعيلية لم تظهر فيها حتى اليوم كتب قديمة تبين كيفية بدنها وحقيقة حالها تبييناً صحيحاً موضحاً شافياً ، ولم يهد بحث الباحثين في هذا الزمن إلى شيء من ذلك قلت مرة لعالم عاقل إسماعيلي : دع قول الاسماعيلية في أصلها ودع حديث خصمها ، فهل أوصلك تحقيقك الناقد ، وتفتيشك الدقيق ، إلى مصدرها الصحيح ومنبعها ؟ فقال : لا .

فتحن من نشوء هذه النحلة في ظلمات بعضها فوق بعض . ولعل كتباً قديمة تنجم فتضى هذا الليل المظلم . ورب علماء محققين لا يجترئون بالقرب المزوف ، بل يمشون أقوياء أشداء صابرين في فلولات البحث فيصلون إلى (عين المرفة) ؛ ورب غوامسين ينوصون في بحور البحث والتنقيب غوصات إثر غوصات فيخرجون لنا شيئاً . ولن يجيء بالدر إلا النواصون الماهرون

فصل في مناجاة المعز لدين الله

قال هذه :

(إلهي) كنت رقتك ، قيل أن تظهر في بفتحك ، وأوجدت عني خلقتك ، وصدرت عني دنياك في الذات والأسماء والصفات . ولست أنا بك متصلاً ، ولا عنك منفصلاً ، إذ أنا بك تمييز ، وأنا راجع إليك عند النقلة والتفويض . اتقل الصورة كيف تشاء ، وأعط النور الإلهي لمن تشاء بما قدمت أيديهم ولا ننقم مثقال ذرة . (إلهي) اني كما أنت عظيم في سلطانك ، وأنا قدرتك وبرهانك ، وإرادتك ومكانك . (إلهي) بمعرفة بي استجب وسلم وأشرق ألوانك ، وإني وجدت بك همد أن عرفتي التلافي ،

— وهو من شيعة الدعوة القديمة للاسماعيلية — إنه قد اطلع على مئة مخطوطة من كتب القوم منها (زهر الماني) الذي أخذ بمؤلفه فيه درجة (الدكتوراه) من جامعة في لندن ، وأنه عازم على نشرها أو نشر طائفة منها . أفنقول — ولم تحقق تلك الأمانة التمتنا — : «رحيل بينهم وبين ما يشتهون» أم نرتقب تلك الكتب في المرتقبين ؟

إذا ضن الأستاء بالضنائ^(١) ولم تصل أيدينا إلى تلك الخبايا في المخادع والزوايا ، فليس لنا إلا غزو الغازين من الغريبيين ، والغازي — وإن كان قوباً — يُنزي ... والناهب — يا أبا العرب — يُهب ...

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم

فهل أنا في ذيك (همدان) ظالم^(٢)

وقد قلت لإسلاميتي (الصحيحة) وعرييتي — وأنا أنسج ما ستلوه — : قفا واسما ولا تنكلا . لا تجادلا ولا تناقشا ، فليس المقام مقام جدل ، ولا عدل ميل ، فالقالات — والنسبة هذه — تحكي كما وجدت ، وتمطي كما أخذت ؛ وإن وجد الخطأ اللغوي لا يصلح ، وإن جاء تصحيف أو تحريف في كلمة أو جملة — حاشا الآيات القرآنية — يُستبقي ، وليس لدى نسخة ثانية حتى أرجع إليها . ورب إبقاء على شيء خير من تغييره ، والقارىء الفهم لا تخني عليه الكلمة محرفة ولا تستهم . ولن يصدنا ذلك عن تعليق أو حاشية

ولوقلنا لأصحاب لنا أدباء فاضلين من (الحاكمية) و(الاسماعيلية) في بر الشام ممن لا يعبدون (السدّم) وقد عبد الأجداد والآباء (الفيديدين) وإن كانوا هم — أي الأبناء المثقفون — بعبادتهم كافرين . فلو قلنا لهم : أطلّمونا بإجماعة على رسائلكم حتى نعارض (تقابل) هذه (المقالات) بها ونصلحها لقالوا : ما عندنا ولا نعرفها ، وإنا مسلمون ؛ وإنها ليسهم ، وإنهم يعرفونها ، ولكن المتشيطنين يكتمون ...

ولم يك في المقالات هذا السمي بعلامات الترقيم — إلا في

(١) ذكرت في هذه البارة (الضادية) برسالتى ابن الحريرى (البينية والشيئية) ونسباً لبلغ (الضاد) ما تكلفت ذلك

(٢) ظالم بن حرم ، وبعده :

نق تجميع القلب الذكى وصارما وأنفاً حياً تجنبك المظالم

حجاب غيره قصده لا بلاء سواك بأوحد^(١) ولا لك اسم سواي
عرفني بالبداية وفضلتك . (إلهي) أترى يعرفك سواك ، ويدنو
منك إلا إليك ، أم يمدو إليك من خرج عن طاعتك ، وطاعة
حدودك وأوليائك . إلهي بك استدلت ومنك وصلت وإليك^(٢)
(إلهي) ليس غيرى لك حجاب ، فكيف الوصول إليك من غير
باب ، فأنا منك بحيث النهوض والهبّة ، وأنت أنا بحيث أنا القدرة
والعظمة ، وحيث أنا بك خلقت أوليائك ، وبدعت ملائكتك
وأنبياك ، فلما عرفتك كنت ذلك ، إذ ليس يعرفك سواك ، ويدنو
منك إلا إليك ، باتصالك بحدودك وأوليائك . (إلهي) إن كثرت
الأشخاص ، فهي أنت بلا اختصاص ، وأنا منك بديت ، لأنني
بحدودك اهتديت ؛ إن عرشك عليه استويت . (إلهي) أوجدتني
منك في ظاهر الأمر بصفة كانت الموجودات على دفعة واحدة ،
فأنت بي باطناً وأنا بك ظاهراً . (إلهي) ظهرت الموجودات كلها
بي ، واخترت مني كل رسول ونبي ، وأنا ابن لك وأنت أبي .
أنا منك كالفيض ، وشراقة وليف^(٣) فليس الفيض غير الفيض ،
فقد غاب ، واضمحج كل ما في النار وذاب . (إلهي) رامت رؤساء
الجهل وأهل السمي والضلال وذوى الإنكار والجحود^(٤) ، وأنهم
خرجوا من المدم إلى الوجود ، وهم في المدم . يا (إلهي) وصلت
إليك ، ومنك دخلت عليك ، فأنا قدرتك الظاهرة ، وعنى ظهرت
آياتك الباهرة . إلهي حقني^(٥) ابتلاؤك ، لأنها حلاوة رضائك ،
فنفسي منك وإليك انتهت . (إلهي) ظهرت للخلق حتى يعرفوك
من حدودك فحجبهم عنك لما زادوني إنكارك ، وذلك أنهم ضلوا
في التكبر عن أبيهم ، فلم يجدوا لهم مرشداً أبداً يهديهم ، فأظهروك
بي لأنني أنت ، وكوني بك ظاهر ، وأنت في حاضر . (إلهي)
أنا الكرسي والمكان ، والوقت والزمان ، وأنا منشيء الثقلات ،
وأنا بك عالم ما يكون وما كان . (إلهي) أنا اسمك وموجود
اسمك ، وأنا البشير إليك ، والدال عليك ، والدال على من دال^(٥)
عليك ، فمن تمسك بحدودك نجاة ، والصورة معادة ورآه ليس دونك

(١) كذا هذه الجملة والتي قبلها (٢) وحجبهم

(٣) أو اقتربت (٤) رب محذوف قبل الكلمة

(٥) كذا هذه الجملة

(٦) كذا هذه الجملة

(٧) حتى ألفت عنا ، أو حتى ألفت عنايتها

(٨) كذا هذه الجملة

(١) وصلت إليك

(٢) وإشراقه متأق أو مؤتلق

(٣) شيء حذف في الجملة

(٤) حقني

(٥) دل

- الفلسفة الشرقية

بحوث تحليلية

للدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

- ٢٨ -

—>>>><<<<—

الفلسفة الصينية

العصر المنهجي — كونفوشيوس

مذهبه

صدر « كونفوشيوس » في فلسفة النظرية عن نفس النقطة التي صدرت عنها فلسفة عصر ما قبل التاريخ، وفلسفة « لاهو » تسيه « ، والتي أشرنا إليها في حينها ، وهي نقطة القول بوحدة الوجود التي تفرع عنها نشوء كائن سلبى أو يتأثر عن الكائن الايجابى المؤثر ، ومن اجتماع قوى هذين الكائنين نشأت المادة ، وتأثير النفس على هذه المادة وجدت الكائنات الحية التي بين السماء والأرض

غير أن « كونفوشيوس » تعمق في هذه النقطة وصيرها فلسفة جديرة بالدراسة والتحصيل ، إذ أضاف إليها أن جميع جزئيات الطبيعة مشتملة على الانسجام التام الذى هو سر جمالها وتقدمها وصلاحيها للوجود ، وأن هذا الانسجام ليس موجوداً في هذه الكائنات بطريق المصادفة ، بل هو تنفيذ لإرادة إلهية مرسومة خطتها في منهج السماء ، وأن هذا الانسجام يحكم الوضع في جزئيات الطبيعة إلى حد أنه يظهر « دينا ميكيا » وأنه هو العلة في تطور الكائنات المادية والظواهر الطبيعية ، ولكن كيف ولماذا كان هذا الانسجام علة لتلك التطور ؟ لم يجب « كونفوشيوس » على هذا السؤال مطلقاً ، لأنه عد البحث فيه فوق طاقة العقل البشرى ، فوافق في هذه الناحية « لاهو » تسيه « الذى أسلفنا أنه صرح هذا التصريح أيضاً وإن كان لم يكن قد وصل إلى كشف سر هذا الانسجام وأثره العظيم اللذين وفق « كونفوشيوس » إلى كشفهما

في وقت تريد ، فلولا نظرك إليها بالشاكلة لأفقدت ، ولولا تطفك بالناسبة لأبعدت . (إلهى) لقد خاب من أنك لم تعرف نفسك ، ولقد ظلم من لم يعرفك بك ، وهو بك ظهر ، وبى حجابك وفى حجابك استتر ، وأنت الناظر بلا حركة . (إلهى) تناهوا الجاهلون في طلب معرفة حدودك وطلبوها معرفة في تيجان الملوك ، فلما نظروا حدودك ، نكروك . (إلهى) ناجتكم المحقون وقالوا بامبدع الأحد ، من غير عدد ، تختلف الأعداد بك ، بقدرة منك ، دعوتك فالذى عرفك منك إليك ، عاد إليك . (إلهى) تميرت المعول عند طلبتك ، أتاها (١) الأبصار في رؤيتك . (إلهى) قالوا الجاهلون في معرفتك وما تبين فلا عرفوا ، (إلهى) لقد غاب من نادى سواك ، ومن عرفك بمحققة المعرفة تبين أنك دائم ، ومن أفضل التناهم . (إلهى) ظهرت لهم فوق النائر ، فتوهوا أنهم حصولك بالعناصر ، فأثبتوا التشبيه والتمثيل ، وعدموا التزيه والتحصيل . (إلهى) عجزوا عن اثبات النفر (٢) ولم يعلموا ما حقيقة الميان من الخير ، فالنظر حجاب عنك لالك ، والنظور أنت به لا (هو) فيك . (إلهى) من قال إنه لا يعرفك ، فقد عدمك ، ومن عبدك ، من غير حدودك ، فقد حال إلى غائب مدوم ، فأما الذى لا تدركه الأبصار ، وأما أدرك الأبصار ، وأما اللطيف الخبير (٣) ، فاللطيف الخبير ، صورنى بالصورة المرئية ، التى هي الحدود العلوية . (إلهى) بوجود معرفتك اهتديت ، وبعثت المصرين عنك تباركت وتعاليت . (إلهى) كنت أنت والمكان ، لأن المكان هو إشارة بالفيض وتكرير الفكر باحضار المكان ، والمكان هو المركز هو الدال عليك . (إلهى) كلما ظهرت عني صورة فظهرتها أبدع على أولها اخفياً (٤) لأثقلها عني « وأنا فمال لما أريد » (٥)

هذه الأولى من (الغالات الاسماعيلية) والباقيات في الأعداد الآيات من (الرسالة)

(فارى)

(١) تاهت أو أتيهت أو أتاها وفي زائده (٢) النظر

(٣) الآية الكريمة : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو

اللطيف الخبير (٤) كذا

(٥) القول الكريم : إن ربك فعال لما يريد

وعنده أن الانسان الملمهم هو ابن السماء الذي يحرس الصراط
السوى ويرعاه بفضلها في جميع أحوال الوجود، وهو مشتمل
على سر إلهي عظيم. أما الحكيم المكتسب الحكمة بمجهوداته
فهو ابن الأرض الذي حمايته من الهوى والشر موكولة إلى
مجهوداته الخاص، والذي لا يعتمد في مقاومة ضعفه وفي احتفاظه
بانسجامه الطبيعي إلا على نفسه؛ فإذا نجح اقترب من درجة
الحكيم الملمهم

وعنده أن حكمة وجود الحكيم الموحى إليه هي إذاعة قانون
السماء والسر على تنفيذه وإنقاذ بني الانسان من الخروج على
الصراط السوى، وما ذلك إلا رحمة بهم وإشفاقاً عليهم من الحكمة
عن الواجب الذي لا تُنقذُ الانسانية من الدمار والاضطراب
إلا بالحرص عليه والاحتفاظ به

مطابقة الأسماء للمسميات، أو التعريفات العامة

لا تزال الأثرية الغالبة من المثقفين والعلماء في أوروبا
تعتقد أن سقراط هو أول حكمهم وضع التعريفات العامة كما صرح
بذلك أرسطو. وقد كنت أنا أحد أولئك الذين يؤمنون بهذه
الفكرة إلى أن درست «كونفيشيوس» في شيء من الدقة،
فتبين لي تبييناً يقينياً أن حكماء الصين قد سبقوا حكماء الإغريق
إلى هذه الفكرة، وأن لهم فيها نصوصاً قيمة جديرة بالإعجاب،
وأن الحكمة التي أعلن سقراط أنها تدفعه إلى هذا التحديد هي
نفسها التي وردت في نصوص «كونفيشيوس» وهي الوصول
إلى ضبط الأخلاق وتحديد الفضيلة والقبض على الحقيقة عن طريق
التطابق المحكم بين الألفاظ والمعاني أو بين الأسماء ومسمياتها،
إذ نحن نعلم أن «السوفسطائيين» لم ينجحوا في إفساد الأخلاق
العامة في عهد سقراط إلا بوساطة التلاعب بالألفاظ، فلما أراد
سقراط أن ينقذ الفضيلة حارب أعداءها بسلاح الدقة والتحديد
فتم له ما أراد. وهكذا كان منهج «كونفيشيوس» إذ أيقن أنه
لا سبيل إلى تنفيذ الواجب بدقة إلا بوضع جميع الأشياء في
نصابها، وأن هذا الوضع لا يتحقق إلا بالتطابق التام بين القوال
ومعناها، أو الألفاظ والمعاني، أو الأسماء والمسميات، وهو
في هذا يقول رداً على سؤال وجهه إليه أحد تلاميذه قائلاً:

سر على أن الشاهد لدينا هو أن كثيراً من الكائنات تتحرك
وتعمل مقودة بالهوى، فلا تنتج هذه الحركات إلا الشر والسوء والشر
والزيلة؛ فإذا بحثنا عن علة هذا الانقياد للهوى ألفتناها الحيدة
عن هذا الانسجام، فكل خضوع للقانون الطبيعي ينتج الخير
والفضيلة والتقدم نحو الكمال، وكل انحراف عن هذا النهج
ينجم عنه الشر والاضطراب، لأن الطبيعة في ذاتها ليس فيها
للشر أثر ألبتة، ولهذا كان أهم واجبات الحكيم هو محاولة رد
الانسجام إلى كل جزئية فقدته، فأتج فقدتها إياه الشر والسوء.
وعلى أساس هذه النظرية بنى «كونفيشيوس» مذهبه الأخلاقي
وأعلن أن الواجب ينحصر في تنفيذ أوامر الطبيعة وتطبيق
قوانينها القويمة كما سنشير إلى ذلك فيما بعد.

وعنده أن الانسان مشتمل على قوتين كالطبيعة سواء بسواء؛
وأن كل الفروق الوجودية بين الأفراد البشرية ناجمة عن تغلب
إحدى القوتين على الأخرى، فإذا كانت الغلبة في الانسان مثلاً
للقوة الإيجابية المؤثرة، كان ذلك الانسان حكماً بالمعنى الكامل،
وإذا غلبت فيه القوة السلبية كان حكماً عادياً، وهذا النوع
الأخير يظل هكذا حتى يتعرض لمواصف الأعواء والشبهوات
المختلفة، فإذا نجا منها ظل كما كان على الفطرة أى في درجة
الحكمة العادية، وإذا غلبه الهوى فخاد به عن صراط الطبيعة
السوى نزل من درجة الحكمة العادية إلى درجة العامة الذين
يحدثون الشر والسوء.

وعنده أن الكمال يتحقق لنوعين من البشر: الأول رجل
تبدأ السماء في إلهامه الحقيقة من يوم ميلاده دون مجهود شخصي
من جانبه، وهو يحصل في البدء على ما يحصل عليه الآخرون في
النهاية، وهذا هو الحكيم الموحى إليه أو «شينج - جين».
أما الثاني فهو الحكيم الذي يعمل على كسب الحكمة ببحوثه
التواصلية، ومجهوداته المتابعة فيحصل على الحقيقة، وبها يعمل
إلى الكمال، ويسمى هذا الأخير: «كيون - تسه» وفي
هذا الصدد يقول «كونفيشيوس» في كتاب «تايو»: «إن
البعض يحصلون عليها (أى الحقيقة) عند ميلادهم، أما البعض
الآخر فانهم إما أن يتلقوها من النير وإما أن يحصلوا عليها بوساطة
مجهوداتهم وأعمالهم الشخصية^(١)»

(١) راجع كتاب «تايو» فصل ٢٠

الذى أعيش فيه . « أو « إنى لست مساوياً للحكام ، وإنما أنا أحول التشبه بهم » إلى آخر ما صرح به مما يشبه هذه العبارات ولست أدري كيف يتخذ أولئك الباحثون هذه التصريحات برهاناً على عدم فلسفة « كوفنشيوس » ولا يتخذون أمثالها من كلام سقراط برهاناً على عدم فلسفته حين نبأته كاهنة « دلى » بأنه أحكم حكماً ، الإغريق عامة ، فاستكثر ذلك على نفسه وقال : « أنا لست حكماً ، ولكنى محب للحكمة » . فلم عدوا هذا التصريح من جانب سقراط تواضعاً ومن جانب « كوفنشيوس » برهان الخلو من الفلسفة ؟ ؟

نعم إن « كوفنشيوس » أسس مذهبه على نظريات صينية عتيقة ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ ، ولكن هل « بارمينيد » و « أمبيدوكل » و « زينون الأكبر » و « فيثاغورس » و « سقراط » و « أفلاطون » و « أرسطو » فعلوا غير هذا ؟ بل هل « ديكارت » نفسه — على تبرئه من الماضي — استطاع أن يتخلص من أسس التراث العقلي القديم ؟ كلا ، ولكن سحفاً للهوى والسطحية ، فإن جميع الأخطاء الإنسانية ناشئة منها أو من أحدها . أما الذى لاشك فيه بمد كل هذا ، فإن « كوفنشيوس » فيلسوف نظري عظيم ، وأن جميع الباحثين الأدقاء يصبون في الصف الأول من صفوف الحكماء ، لأنهم يعتمدون في ذلك على مجموعة ماله من آراء فلسفية مبتدعة كما يتطلب النقد الحديث ، وإنه أخلاقي من طراز « كانت » و « اسبنوزا » وأمثالهما من أجلاء فلاسفة العصور الحديثة

« ينبع » محمد غناب

ماذا كنت تفعل لو أنك عيّنت حاكماً على دولة ؟ « كنت أبدأ أعمالاً بأن أرد إلى كل مسمى اسمه الحقيقي » . ولما لم يفهم التلميذ هذا الجواب سأله قائلاً : وما معنى هذا ؟ فأجاب الفيلسوف بقوله : « إن الحكيم يجب أن يحتاط في تبصر من كل ما لا علم له به ، فإذا لم تتفق الأسماء مع مسمياتها بالضبط وقع الخلط في اللغة ، وإذا وقع الخلط في اللغة لا ينفذ شيء من أوامر النظام العام ، وإذا لم ينفذ شيء من أوامر النظام العام ، أهملت الحشمة واللياقة والانسجام ، وإذا أهملت الحشمة واللياقة والانسجام فقد توافق العقاب مع الخطأ ، وإذا فقد هذا التوافق ، أصبح الشعب مضطرباً لا يفرق بين موضع قدميه وموضع يديه . ولهذا يجب على الحكيم أن يضع لكل مسمى اسمه الذى هو له ، وأن يعالج كل موجود حسب التعريف الذى وضع له ^(١) »

ألم ترى معنى أيها القارئ أن فى هذه النصوص « الكوفنشيوسية » برهاناً ساطعاً على أن حكيم اليونان الأول لم يكن مبدع التعريفات العامة ، الجامعة المانعة ، ولا أول من قال بالدقة والتحديد ؟ ثم ألمت توافقنى على أن هذه نقطة هامة تضيف إلى ما كشف من مجد الشرق صفحة نثار جديدة ، وأنها لهذا جديرة بالناية والتسجيل كما أن فيها رداً آخر يضاف إلى ردودنا السالفة على أولئك الأذئاب المتغيبين الذين أنكروا على الشرق ميزة التفلسف النظرى ؟

مما قدمنا يتبين أيضاً خطأ بعض الباحثين الأوروبيين الذين سلكوا في مؤلفاتهم سبيل زرع تاج الفلسفة من فوق رأس « كوفنشيوس » ووضعوه على رؤوس : « لاهو — نسيه » و « تشوانج — نسيه » و « مي — تي » وجزموا بأن « كوفنشيوس » لم يكن فيلسوفاً ، وإنما كان أخلاقياً ، ولم يكن أخلاقياً من النوع العالي ، وإنما كان عملياً ، بل تغمياً . فأما دعواهم أنه ليس فيلسوفاً فيطلها ما أسلفناه ؛ وأما زعمهم أنه عملي أو تقى فستدحضه حينما نعرض لدراسة الأخلاق عنده اعتمد أولئك الباحثون في رميهم « كوفنشيوس » بالخلو من التفلسف النظرى على تصريح أثر عنه قال فيه : « إنى لم أبتدع شيئاً جديداً ، وإنما نقلت تراث الحكماء الأقدمين إلى العصر

أطلب مؤلفات
الاستاذ النشاشيبي
كتاب
الاستاذ الصريح

من : مكتبة الرشد ، شارع الفلكي (باب اللز)

من : المكتبات العربية اشرف

لمؤرب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ١٣ —

شاردة الخيال ضائعة الأمل مستطارة القلب ؟
أم ترى صوتي يبلغ إليه تحت أطباق الثرى وبنتنا ستة أشهر
من عمر الزمان كأنها من البعد وانفساح المدى سنوات وسنوات ؟
إنه ليخيّل إليّ أن هذا الحديث الذي أكتبه عنها وعنه هو
رسالة من الغيب إلى هذه الحبيبة الراحدة المحزونة ، من الحبيب
الذي أحبها أعنف الحب وأرقه وما تراءى لها مع ذلك في عمره
الطويل إلا الرجل القاسي الذي حطم قلبها بقسوته وكبريائه ،
ومات وما تلقت رسالته الأخيرة فنفذت روحه من أقطار
السماوات لتليها على وفيها المندرة والاستغفار ...

آه لو تدرين كم كان يحبك أيتها الحبيبة ! .. فهل كنت ..؟
ولكن ... ولكن لا سبيل إلى ما فات ... !

لقد أحبها جهد الحب ومداه ، حبا أضل نفسه وشرّد فكره
وسلبه القرار ؛ ولكنه حب عجيب ، ليس فيه حنين الدم إلى الدم ،
ولكن حنين الحكمة إلى الحكمة ، وهفوة الشعر إلى الشعر ، وخلوة
الروح إلى الروح في مناجاة طويلة كأنها تسبيح وعبادة ؛ وأسرف
عليه هذا الحب حتى عاد في غمراته خلقاً بلا إرادة ، فليس له من
دنياه إلا هي ، وليس له من نفسه إلا ما تهب له من نفسه !

والرافعي رجل — كان — له ذات وكبرياء ؛ فأين يجد من
هذا الحب ذاته وكبريائه ؟ هكذا سألته نفسه !

وأحبها أدبية فيلسوفة شاعرة تستطيع أن ترتفع إلى سماءه
وتخلق في واديه وله مثل قدرتها على الطيران والتحليق في آفاق
الشعر والحكمة والخيال ؛ فما التقيا مرة حتى كان خديهما فتونا
من الشعر وشذرات من الفلسفة وقليل من لغة المشاق في همس
من لغة الميول ... وقال لها مرة : « إن الحب يا عزيزتي ... »
قالت : « إن فلسفة الحب ... » قال : « بل أعني حقيقة الحب
وممنه ... » قالت : « دع عنك يا حبيبي ... إن أحلام الحب هي
شيء غير الحب ، أفأنت تريد ... ؟ » فاختلطت شفتاه وأطرق ،
وراح يسأل نفسه : « ما الحب وما فلسفة الحب ؟ يا ضيعة التي
إن كان الحب شيئاً غير الذي في نفسي ! » وتحدث ضميره في
ضميرها فابتمت وهي تقول : « ... أنا ما أحببتك رجلاً بل

١ — « إن في الرجل شيئاً يتقد المرأة منه وإن هلك
بحبها ، وإن هدمت عيناها من ساقاته وجوانبه : فيه الرجولة
إذا كان شهياً ، وفيه الضمير إذا كان شريفاً ، وفيه الدم
إذا كان كريماً . فوالذي نفسي بيده لا تموز المرأة بشيء
من ذلك ساعة تحين عواطفه ، وينفر طائر حله من صدره ،
إلا غاذت — والله — بماذا يحبها وعصها ويعد على
طهارتها جناح ملك من الملائكة »

٢ — « ... ويسرف على بعضها أحياناً فأتلعب عليها
في زفرات كمعة الحريق حين ينطبق مثل الفلك من جهنم
على مدينة فائمة فيضع جذرائها مضغ الخبز اليابس ؛ ثم يسرف
على حبها أحياناً فينحط قلبي في مثل غمرات الموت وسكراته
يتطوح من غمرة إلى غمرة ؛ فأنا بين قمة تقياً ، وبين غاية
تحول ، وكأنه لا عمل لي إلا أن أصعد من درجة لأهبط
منه درجة ... ! »

٣ — « لفتها وما أريد الهوى ولا تعمد قلبي ، ولا
أحب أن فيها أموراً ستول ما لها ؛ وكنت أظن أن المستحيل
نسان : ما يستحيل ونوعه فلا تقضى إليه ، وما يمكن وقوعه
تقبله فلا ينفي إليك ، ولكن حين توجد المعجزة تبطل
الحيلة ؛ ومتى استوردك القدر لمدى لا مفر منه ، أقبل بك
على ما كنت منه تفر »

٤ — « ... إنها لأبلغ ذات لسان ، وأبرع ذات
فكر ، وأروع ذات نفس ؛ ولو كنا سليلي أبوة ما شهدت
لها بأكثر من هذا حرفاً ، ولو كان دمي من أعضائها ما نفصتها
من هذا حرفاً ، وعلم الله ما أبغض فيها إلا هذه التي أتمهد
لها ... ! »

٥ — « ... دعني أقول لك : إنني أبغض من أحبها ..
وإن هذا البغض وجه آخر من الحب ، كالبحر : ظاهره له
ألم وباطنه له ألم ! »

٦ — « ... وكما ينشأ الكفر أحياناً من عمل العقل
الإنساني إذا هو تخكم في الدين ، يأتي البغض من هذا العقل
بينه إذا هو تخكم في الحب ! » (الرافعي)

شعر وفلسفة ، وهب وكبرياء

أترى صوتي يبلغ إليها وهي في مستشفاهها بالشام ذاهلة القلب

كان — رحمه الله — يرى في شدة الإحساس بالرجولة وفي سرعة الاستجابة العصبية إلى المرأة إلا أنها أحد طرقي النبوغ ، أو أحد طرفي النبوة كما كان يقول ؛ فإما كان يرى له وقاية من سحر المرأة حين يحس أثرها في نفسه إلا أن يسرع في الفرار . وكثيراً ما كان يقول : « الفرار الفرار ؛ إنه الوسيلة الواحدة إلى النجاة من وسوسة الشيطان وغلبة الهوى ... »

وقالت له نفسه : « ما أنت وهذا الحب الذي سلبك الإرادة وغلبك على الكبرياء ويوشك أن يهوى بك من وسوسة النفس وقتنة الهوى إلى أرواح البشرية ... ؟ »
فكان لصوت النفس في أعماقه صدى بعيد ...

وكان يحبها ليجد في حبها ينبوع الشعر ، فما وجد الحب وحده ، بل وجد الحب والألم وثورة النفس وقلق الحياة ؛ ووجد في كل أولئك يتابع من الشعر والحكمة تفيض بها نفسه ، ويتفعل بها جثائه ، ويضيء بها فكره ؛ وكان آخر حبه الألم ، وكانت آلامه أول قدحة من شرار الشعر والحكمة ...

وقالت له نفسه : « ها قد بلغت من الحب ما كنت ترجو ، فلم تبق إلا الغاية الثانية وإنك عنها كُفِّ كُرم ... ! »

وهي فتاة ذات جلال وقتنة ، ولها لسان وبيان ، وما يمتعها دينها ولا شيء من تقاليد أهلها أن يكون لها مجلس من الرجال في ساعة في يوم من كل أسبوع ، يضم من شعراء العربية ورجالها أشتاتاً لا يؤلفها إلا هذا المجلس المعطر بمطر الشعر وعطر المرأة الجميلة ؛ أقترامهم يجتمعون في دارها كل أسبوع لتتوارى منهم خلف حجاب فلا سمر ولا حديث ؟ والرافي غيور شمس كثير الأثرة لا يرضيه إلا أن يكون على رأس الجماعة ، أو هو نفسه رأس الجماعة ...

وقالت له نفسه : « أنت هنا وحدك أم ترى لكل واحد من هؤلاء هنا هوى وحبيباً ... ؟ »

وكانت العقيدة بين الرافي وبينها من أجل ذلك كله : من أجل أن له ذاتاً وكبرياء ، وما يريد أن تغني ذاته وكبرياؤه في امرأة ؛

فكراً وروحاً ونفساً شاعرة ، وأنت بكل ذلك ملء نفسي وملء قلبي ؛ فلا تلمس في طابع أنني وإلا ضل ضلالاً أيها الحبيب ... » قال : « فهل رأيتني يا حبيبي إلا فكرة تطيف أبدأ بك ، وروحاً ترفرف حوالياً ، ونفساً تغترف الشعر والحكمة من وحي عينيك ... ؟ » قالت : « دع عنك ذكر عيني يا حبيبي . إن الحب ليس هناك ، إن الحب ... » قال : « لا يتحدثني عن الحب . يخيل إلي أنني أعرفه لأنني أجدمسّه على قلبي كلذغ الجمر ، ولكن آه ، ولكنك أنت ... »

وقالت له نفسه : « إنك يا صاحبي تضرب في يدياء ؛ إن الشعر والحكمة والفلسفة لا تلد الحب ، فهل أحبيتها أنت إلا للشعر والحكمة والفلسفة ؟ ولكنك بذلك لن تجد منها الحب ، إن الحب من لغة القلب ، أما هذه ... »

وكان يحبها أديبة فيلسوفة شاعرة ، فعاد يواعد بينه وبينها أنها فيلسوفة شاعرة ... !

وامرأة هي كانت — إلى أديبها وفلسفتها — « فتنة » خلقت امرأة ، فإذا نظرت إليك نظرتها الفاترة فإنما تقول لقلبك : إذا لم تأت إلي فانا آتية إليك ... وهي أبدأ تشعر أن في دمها شيئاً لا يوصف ولا يسمى ولكنه يجذب ويفتن ، فلا تراها إلا على حالة من هذين ، حتى ليظن كل من حادها أنها تحبه وما به إلا أنها تفتنه ...

« رشيقة جذابة تأخذك أخذ السحر ، لأن عطر قلبها ينفذ إلى قلبك من الهواء ؛ فإذا تنفست أمامها فقد عشقتها ... »

« أما أنوثتها فأسلوب في الجمال على حدة ؛ فإذا لقيتها لا تلبث أن تري عينيك تبحثان في عينيها عن سر هذا الأسلوب البديع فلا تمتاز فيها بالسر ولكن بالحب ... وتنظر نظرة الغزال المذغور ألهم أنه جميل ظريف فلا يزال مستوفزاً يتوجس في كل حركة صائداً يطلبه ... » (١)

والرافي رجل كان — على دينه وخلقه ومروءته — ضعيف السلطان على نفسه إذا كان ياراه امرأة ؛ فإما هو إلا أن يري واحدة لها ميزة في النساء حتى يتحرك دمه وتنفلع أعصابه ؛ وما

إبراهيم ، فأفضى إليه بذات صدره وودع صاحبه بين تخطج ، ومضي ...

واتبع الاحتفال ، ووقفت (هي) تدبر عينها في المكان فما استقرت على شيء ؛ ووجدت في نفسها الجرأة على أن تقول : « أين الرافي ؟ » فما وجدت جواباً ... وكان الرافي وقثد جالساً إلى مكتبته ينشئ قصيدة لمجلة المقتطف عن بحث الحب ... ! وكان آخر لقاء ... !

ولقيت الرافي في خريف سنة ١٩٣٢ ، فتسرحنا في الحديث عن الحب ، فكشف لي عن صدره في عبارات محموعة ، وكلمات رتمش ، ثم قال : « ... وإن صوتاً ليهتف بي من النيب أن الماضي سيمود ، وأني سألقاها ، وسيكون ذلك في تمام عشر سنين من رسالة القطيعة : في يناير سنة ١٩٣٤ ... » وأخذ يقبض أصابعه ويبسطها ثم قال :

« نعم ، بعد أربعة عشر شهراً سيكون هذا اللقاء ... إن قلبي يحس ، بل إنني لوقن ... بعد أربعة عشر شهراً ، في تمام السنة العاشرة منذ فارقتها مضغاً ، سنتلقى ثانية ويعود ذلك الماضي الجليل ، إنها تنتظر ، وإنني أنتظر ... ! » ، وظل على هذا اليقين أشهراً وهو يحصى الأيام والأسابيع كأنه منها على ميعاد ... !

ومضت السنوات العشر ، ومضى أربعون شهراً بعدها وما تحقّق أمّله في اللقاء ، حتى لقي الله ... !

هذا هو الرافي العاشق ، جلوت صورته كما عرفته ؛ أما هي ، أما صاحبه التي كان من تاريخه معها ما كان ، فهل كانت تحبه ؟ وما كان هذا الحب ، وماذا كانت غايته ؟

هذا حديث موعده العدد القادم ، فإلى اللقاء

« شبرا » محمد سعيد العربي

ومن أجل أنها فيلسوفة وشاعرة ، وما تجتمع الفلسفة والحب في قلب حواء ؛ ومن أجل أنها أنثى وأنه رجل له دين ومروءة وزوجة ودار ؛ ومن أجل أنه بلغ مبلغه منها حين وجد الألم في حبها فوجد ينبوع الشمر الذي كان يفتقد ؛ ومن أجل أن الرافي النور الظنين الكثير الأثرة والاعتداد بالنفس ... !

وخيل إليه حين كتب إليها رسالة القطيعة في يناير سنة ١٩٣٤ أنه يفضها ، وأن هذا الحب الذي قطعه عن دنيا الناس عاماً بحاله قد انتهى من تاريخه وطواه القدر في مدّرجة الفناء ، وأن نفساً كانت في الأسر قد خرجت إلى فضاء الله ...

وأحس في نفسه حديثاً طويلاً يريد أن يفضي به ، وشعر كأن في قلبه ناراً تَلْظَى ، واصطُرعت في نفسه ذكريات وذكريات ، وخيل إليه أنه يكاد يَخْتَق ؛ فصاح من كل أولئك منفيلاً محققاً يقول : « أيتها المحبوبة ، إنني أبغضك ... إنني أبغضك أيتها المحبوبة ! »

ليت شمري ، أكان الرافي يعني ما يقول ؟ أكان على يقين حين يزعم أنه يفضها ؟ أم أنه استعار للحب لفظاً متكبراً من كبريائه العانية فضاء البغض وما هو به ولكنها ثورة الحب حين يبلغ عنفوانه فتختلط به مذاهب الفكر ومذاهب النظر فلا يبقى فيه شيء على حقيقته ؟

كلا ، ما أبغض الرافي صاحبه يوماً منذ كانت ولا استطاع أن يفك نفسه من وثاقها ، وما هذه الثورة التي ألهمته كتابته « رسائل الأحزان ، والسحاب الأحمر » إلا لون من ذلك الحب وفصل من فصوله وكان الخطأ في العنوان ؛ فلما ثابت إليه نفسه تزع به الحنين إلى الماضي ولكن كبريائه وقفت في سبيله ، فظل حيث هو ولكن قلبه ظل يتزرى بالشوق والحنين ... !

وجاءت صاحبه إلى طنطا بعد ذلك بقليل ، مدعوة إلى حفلة خيرية لتخطب ، وكان الرافي مدعواً لثل مادعيت له . وعلى غفلة التقت العيون ، فدار رأس الرافي وذُهب به ، وعاد الزمان القهقري لينشر ماضيه على عينيه ، وزلزلت نفسه زلزالاً شديداً حتى أوشك أن تفشاه غاشية ، وحاول أن يتحدث فوقفت الكبرياء بين قلبه ولسانه ؛ وخشى أن يفتضح فنهض عن كرسيه منطلقاً إلى الباب ؛ ولحقه صديقه الأديب جورج

العدد ١٨٣

أعدنا طبع العدد ١٨٣ من الرسالة ، فمن لم يكن عنده من حضرات المشتركين فليفضل بطلبه من الإدارة

قطف الثمار

للشاعر الفيلسوف طاغور

بقلم الأديب عبد الخالق العطار

—>>><<<—

كانت حياتي أيام الصبا كزهرة ... تفقد واحدة أو اثنتين
من وريقاتها الكثيرة ... ثم ينسها الريح ما فقدت ... إذا
ما وقف يبابها يطلب إحساناً
وودعت الشباب ... فصارت حياتي كشمرة ... ليس لها
ما تستطيع فقدته ... ولكنها تنظر من تهب له نفسها كاملة بكل
ما تحمل من حلاوة

هل للأوراق الصفراء والزهور الذابلة أن تشارك الورود
الناضرة في بهجتها بميد الصيف ؟ وهل لا يرسل غناء البحر
أنتامه للأمواج الهابطة ... كما يشجى بها الأمواج العالية ؟
ها هي ذي الآلاء والدرر ... قد انتظمت في بساط يقف عليه
إلهي ... ولكن هناك كثيرون ... ينتظرون صابرين ...
يرجون لسة من قدمه ...
ما أقل العقلاء ... وما أعظم من يجلسون إلى جوار سيدهم !
ولكنه هو .. لقد احتوى الساذجين بين ذراعيه .. وخملني
خادمه إلى الأبد ...

وجدت خطابه مع الصباح ... عند ما استيقظت ...
ولم أعلم ماذا يقول فيه ... فاني لا أعرف القراءة ...
مالي وذاك الرجل العاقل ... الذي يجلس وحيداً بين كتبه ؟
لن أضمنه ... وهو الذي يستطيع أن يقرأ لي خطابي ...
دعني ... دعني أضع الخطاب على جيبتي ... وأضمه إلى صدري
وعند ما ينمو سكون الليل ... وتتناثر النجوم في ظلمته
واحدة إثر واحدة ... سأبسط الخطاب في يدي ... وأظل صامتاً !
سأقرؤه لي حفيف الأوراق بصوت عال !
ستفنيه لي المياه وهي تندفع في مجراها !
سترثله لي سبعة نجوم هادئة ... وسأسمع ترتيلها من السماء !
لقد ضل سبيلي ... وأنا أبحث عما أريد !
لقد استغلق علي فهم ما لا يد من معرفته !
ولكن هذا الخطاب الذي لم يقرأ ... قد خفف عني العبء
فصارت أفكاري كلها كالأنشيد.

لقد ضلت سبيلي حيث تعددت السبل ...
فلا في المياه الواسعة ... ولا في السحاب الزرقاء ... أستطيع
أن أجد لي طريقاً
لقد اختفى الطريق تحت أجنحة الطير ... ووراء النجوم
المنهبة ... وخلف أزهار الفصول المتعاقبة ...
فتساءلت ... أي قلبي ! ألا تحمل مع ذلك حقيقة الطريق
الذي لا أراه ؟

عند ما كنت أختال ببطء بين كنوزي الثقلة الموروثة ...
كنت أشعر كأني الدودة التي تعيش في الظلام ... تنغذى على
الثمرة التي ولدت عليها ...
إني أترك هذا السجن ... سجن الفساد
إني لا أعبأ إذ أحطم تماثيل السكون ... لأنني ذاهب في طريق
باحثاً عن الشباب الدائم ...
سأخلى عن كل ما لم يتحد مع حياتي ...
سأخلى عن كل شيء ... إلا ما كان خفيفاً كضحكي
وسأجري خلال الزمان ...
و ... آه يا قلبي ... في عربتك الصغيرة يرقص الشاعر
ويغنى بينما خياله يسبح

لقد أخذتني من يدي ... وأدنىقتني إلى جانبك ... وأجلستني
أمام الناس جميعاً ... وفي مقام عال ... حتى صرت ضعيفاً
لا أقوى على النظر ولا السير في طريقي ... يملؤني الشك ...
ويحيطني الوجع ... خشية أن أعثر فيصيبني احتقار الناس ...
ولكنني تحررت أخيراً ...
فقد دوت الصرخة ... وقرعت الطبول إنذاراً ... وهبط
مقعدى في التراب ...
وتفتحت السبل أمامي !
إن أجنحتي لتطير بها الرغبة إلى السماء ...
إني أذهب لأحتل مكاناً بين النجوم التي تنطلق في منتصف
الليل ... لتفرق في الظل اللانهائي ، إلى كسحابة الصيف التي تتقاذفها
العاصفة ... بعد أن ألقيت عنها تاجها الذهبي الذي ألبسته إياها
الشمس قبل أن تغيب ... فتعلقت كسيف مسلول على سلسلة من
الضوء ... وإذا الرعد يدوي كلما اهتز السيف
وفي فرح اليأس أجري في الطريق الذي غطاه التراب ...
طريق المنبوذين . وأجىء إلى جانبك لأحييك التحية الأخيرة ...

« النوفيزية » وقد يثها البطريك ثيودوسيوس الاسكندري في القرن السادس ويتخذ ملوك الحبشة هذا المذهب مذهباً رسمياً وكنيسة الأحباش قائمة تحت إدارة نائب بطريك الأقباط المعروف هناك باسم « أبونا » وكان له نفوذ كبير وسلطة واسعة تخوله خلع الملك (النجاشي)

ومن المذاهب المسيحية المنتشرة أيضاً المذهب الكاثوليكي وله مبشرون كثيرون ومرسلون عازاريون وكبوشيون أما المذهب البروتستانتي فقليل الانتشار

الدين اليهودي

يعرف اليهود في الحبشة باسم « فلاشة » وهم يقيمون في الأقاليم الشرقية ، ويقال إنهم متحدرون من القبائل اليهودية الأولى التي توغلت في تلك الجهات . ولا يزيد عددهم عن الخمسين ألفاً ، ويوجد منهم في أديس أبابا نحو مئة شخص ، وهم يعيشون عيشة مستقلة لا يختلطون بأحد من الأحباش ، ولا يتزوجون من غير أبناء دينهم ، ويشغلون بالزراعة وصناعات النسيج

المقائد الوثنية

إن المقائد الوثنية على اختلاف أنواعها منتشرة في بلاد الحبشة ، ولا سيما في الجهات الغربية ، وبالرساليات الأجنبية تتصل بالوثنيين ومحاول التأثير عليهم . ويبعد أكثرهم الأشجار « وأخصها شجرة الجيز » والأنهار والأحجار والشمس والبهائم والنار . وقد أخبرني شاب حبشي اسمه جرجس إبراهيم أن طائفة منهم تقطن « الفاميلا » على حدود السودان ، وهم يعيشون في العراء دون أن يستروا أجسامهم ، ولهم طريقة خاصة في العبادة ، وذلك أنهم يجتمعون في كل عام أمام النيل الأزرق ويرقصون ثم يقدمون له ذبيحة كقربان

ولم أستطع أخذ فكرة صحيحة عن عدد الوثنيين في الحبشة ولكنهم لا يقلون على كل حال عن مليون ولا يزيدون عن مليون ونصف

عادات وثنية غريبة

قيل لي أنه توجد قبائل في جهات — ووللاغا — لا تدين بدين أبداً ولها عادات غريبة جداً ، منها أن الرجال لا يقتربون من نسائهم إذا كن حبالى ، ويضطر الزوج في هذه الظروف أن يبيت

ورغم قلة الوسائل الموجودة لدى هؤلاء لنشر ديانتهم والتبشير بها بالنسبة للديانة المسيحية التي كانت البلاد الحبشية تنوع برسلها ودعاتها وبشائنها التبشيرية المنظمة ومن ورائها الحكومات الكبرى تؤيدها والأموال الوفيرة تمدد عليها والحكومة المحلية نفسها تشد أزرها وتسهل مهمتها

حقاً إنه لسر غريب انتشار الدين الحنيف بسرعة البرق في تلك الأصقاع ، وإقبال الأحباش على اعتناقه رغم جميع الصعوبات التي كانت تفرض سبيله وتقف في طريقه ، ولا غرو فظهر المسلم (وإن كان إسلامه ضعيفاً وناقصاً) جذاب يسحر القلوب ويستهوئ النفوس ؛ فهناك التقوى والصلاح ومكارم الأخلاق والنظافة والشهامة والتواضع والوفاء ... الخ

ولست أرى من وراء ذلك الخط من قدر الديانات الأخرى اليهودية والمسيحية . كلا ، فإنها ديانات سماوية أيضاً ، ولكن الأحباش كانوا يتمسكون بقشورها ويتركون لبابها ؛ فهم كانوا بذلك أقرب إلى الوثنية

قال لي الأمير عبد الله أبا جفار سلطان جما في أثناء حديثه منى : إن هذه الديار ديارنا ونسبة الأحباش إلى المسلمين نسبة واحد للمشرين ، ولا سيما في بلاد هرير والمروسي والفوارغي وجار غوما ولمو وجيده ؛ فهذه البلاد ليس فيها أثر للمسيحية ؛ وأغلب أهالي برنا وواللو ودارا وحقات والدناكل مسلمون . وإذا قدرنا سكان الحبشة حسب الإحصاءات الصادرة عن القناصل والدوائر السؤولة بمشرة ملايين « بما فيها الصومال والأريتريه » فلا يقل عدد المسلمين فيها عن ستة ملايين إن لم يكونوا أكثر من ذلك

وأكثر المذاهب الإسلامية انتشاراً المذهب الشافعي . وليست للمسلمين مع الأسف مدارس عاصرة وجميعات خيرية وأدبية كما هي الحال في مختلف الأقطار الإسلامية إذا استثنينا جمعية الإشفاق الإسلامي التي تأسست في أديس أبابا في عهد الحكومة السابقة ، وكان في مقدمة أعمالها تأسيس المدرسة الإسلامية التي سيأتي ذكرها وليس بين المسلمين علماء واقفون تماماً على أسرار الشريعة الفراء إلا في مقاطعتي جما وواللو ؛ ويظهر أنه يوجد في جما نهضة إسلامية لا بأس بها سيأتي ذكرها بمناسبة مقابلتي لسلطانها الأمير عبد الله

الدين المسيحي

ويأتي في الدرجة الثانية من حيث الانتشار الدين المسيحي ، وكان دين الحكومة الرسمي وأكثر المذاهب المسيحية انتشاراً :

فلسفة التربية

كما براها فمدرسة الغرب

للأستاذ محمد حسن ظاظا

—»»»»»—

« نريد أن ننشئ إلى تصدير واف لمعنى التربية التي نضعنا في مركز تفهم فيه الكون وتكشف الدور الذي علينا فيه أن نلعبه ، كما تبين كيف أنه يجب علينا ، وكيف يمكننا أن نقوم بهذا الدور بكل ما نستطيع »

هكذا يقول الأستاذ Attlee في كتابه (Philos. in The Ed. Theory) محاولاً أن يلتبس في الفلسفة تفسيراً أو تقويماً لعملية التربية . ذلك أنا سنسأل ما قيمة التربية في الحياة ؟ وما قدر عمر المرء بالقياس إلى الأعمار الجيولوجية الحقيقية الهائلة ؟ وأى ربح يربحه الإنسان من عمله تحت الشمس ؟ جيل يعيش وجيل يموت ، والأرض باقية فما جدوى ذلك كله ؟ لم يجب أن نعيش؟؟ لم نلزم بالبقاء في عالم لم نسأل عنه قبل مجئنا إليه ولا نملك فيه حتى حق الموت ؟؟؟ وما هي الصلة بين مركزنا في الحياة وواجبات هذا المركز ؟؟

أولئك جميعاً مسائل عسيرة عديدة بضح منها الجمهور لأنه لا يستطيع الخوض فيها بحكم عقله الذي لا يتجوز نحواً كلياً بفسره الظروف الجزئية ويسمو عليها . لذلك تراه يقول حسبنا أنفسنا نعيش ما دام الواقع أننا نعيش !! وحسبنا أننا نتعلم وتربى ما دام

خارج الغرفة أو المنزل الذي تبيت فيه زوجته . ولا يحق له أن يأكل معها وهو مجبر أن يحضر لها كل يوم حيواناً يصطاده وإذا أخفق فلا يحق له دخول القرية

وتمتاز هذه القبائل بصلابة الأجسام وصحة الأبدان وسلامتها من الأمراض

الدروز الألباش

توجد طائفة في بعض مقاطعات الحبشة تسمى « بالدروز » وهي منتشرة بنوع خاص في جهات — غلامو وسيدامو — وعقيدتهم على ما قيل لي خليط من الإسلام والمسيحية واليهودية ولهم أخلاق وعادات شاذة وهم يشتغلون بالنسيج والحياكة محمد نيسير ظبياه

الواقع أننا كذلك !!! ولكن الفلسفة لا ترضى منه بهذه القناعة ولا تفتأ تقول له : إياك أن تغفل سؤال (لِمَ نعيش) ؟ لا شيء إلا لأنك تعيش !! ذلك أنك تتقدم من غير شك إذا ما سلطت النقد على حياتك ونظرت قبل القفز ثم بعده !! يقول الأستاذ برادلي Bradley في أصول المنطق ج ٢ ص ٧٢١ « إن ديانة العمل من أجل العمل فحسب ، أو إن كل شيء من أجل العمل ، تنتهي حتماً إلى نتيجة مهدومة في العمل نفسه »

وهكذا تقول الفلسفة للجمهور « قصدك الأساسي هو العمل ، أما أنا فقصدى النظر ؛ ولكن النظر مع ذلك يسير إلى جانب العمل . أنا أغوص ، والعمل يستفيد من غوصي ، لأنه لي — وني وحدي — يستطيع أن يفهم لِمَ يعمل ما يعمل » . ذلك أن الفلسفة لا تضرب في الهواء ولكنها تحاول أن تحدد الأشياء بمحدودها النطقية معطية إياها نهاياتها الميثافيزيقية ؛ وأن العمل نفسه يصير فلسفة إذا ما نقد نفسه . لذلك لا غرو أن قالوا إن العمل الصحيح هو ذلك الذي يشعر بنفسه !!

سيقول العمل — وهو لا بد قائل — « ولكن ذلك يضايق !! » وستقول الفلسفة « إنه حقاً يضايق ولكنه بعد ضروري لأن التقدم لم يضر نفسه إلا عن طريق الغرور ؛ لذلك لا بد من هاتيك الأسئلة السقراطية الحصيفة العميقة كما نأمن منبهة الغرور !! » وهنا سيمجّب « العمل » من قول الفلسفة ، وسيسم فضحك « الفلسفة » وتقول له : « حسناً لقد اقتربنا ؛ إنك قد بدأت تعجب والتعجب أول خطواتي !! وإذن فكأن مي كما يقول المثل الصيني « كل رغبناً واشتر بالآخر زهرة !! » وتذكر دائماً أنك تكون إياي حيناً تنعكس على نفسك فتختبر حقائقها وترتها وتبونها وتجعلها منطقية معقولة !! »

وإذن فليست فلسفة التربية أداة لفهمها فحسب ؛ وإنما هي أيضاً أداة لنقدها وإصلاحها . وللفلسفة عدة صور أهمها الميثافيزيقا التي تعطينا فكرة جامعة عن الكون . ونحن في التربية إزاء كائنات راقية هي أفراد الإنسان . وعلم النفس لا يكفي قط لفهم هذه الكائنات بجميع علاقاتها ، وإذاً فلا بد من ذلك « التقدير الوافي » الذي تقدمه الفلسفة !! فترى ماذا عسى أن يكون ذلك التقدير ؟؟

تبحث الفلسفة كما قدمنا في « الكلمات » ، ونرى « الكل » مثلاً في الجزء كما نرى الحيوان النقرض في هيكله العظمي ،

الداتي ، ولما كانت التربية هي ذلك الجهد نفسه أو ذلك النشاط الداتي ؛ كانت عمليتها تقرب حتما ما بين الإنسان وخالقه وإذا أخذنا بمذهب الحلول Pantheism قلنا إن الله تعالى مصدر ما في الكون من قوة وحركة ونشاط . وإذن تكون المادة نشاط في نظر العالم الطبيعي ، ويكون هذا النشاط درجة من الشعور في نظر الفيلسوف . ويكون الله على ذلك هو وحدة الكون الشاعرة التي تحيا الطبيعة فيها والإنسان . يقول القديس بطرس : « إننا نميش وتتحرك ونأخذ كياننا فيه » ؛ ويكون زمن التربية على ذلك هو فترة تحقيق الناشئ لأحد مظاهر الله . وذلك التحقيق يسر الله من غير ما شك . يقول فيخته Fichte « التربية تكمل خالد وطريق لجعل الجزء كلاً ، إذ الحقيقة الكلية هي الكون أو الله . والحقيقة الزمنية هي الصيرورة . ومن أساليب الصيرورة ذلك الأسلوب الذي يصير به الإنسان ما هو عليه في الأبد . والحياة الأبدية هي أن يكون الإنسان على نحو الله »

وخلاصة القول أن التربية تقوم على أن أصل الإنسان هو الله ، وأن الإنسان حر الطبيعة خالد المصير^(١) ؛ وأن أساس التنشئة في الناحية البيولوجية هو ملازمة الإنسان بين نفسه وبين البيئات المتطورة المتجددة ؛ وأساسها في الناحية الفسيولوجية هو العناية بالجسد وتجميله لأنه هيكل الروح القدس ؛ وفي الناحية النفسية هو أنه لا حد لنمو الفعل فلنسم به إلى المطلق ؛ وفي الناحية الاجتماعية هو أن الله يظهر نفسه في الزمان خلال مثل الإنسان العليا من خير وحق وجمال ، وإذا فليكن لهذا الثالث قداسته وأثرانه في حياتنا ...

ويكون التعريف الجامع المانع للتربية في نظر الأستاذ هورن هو « أنها الطريق الأبدي للاملاء العليا بين الإنسان الكامل جسما وعاطفة وعقلا ، وبين الله ممثلا في البيئة الزمنية للإنسان »^(٢) هذا هو تفسير الفلسفة لعملية التربية . أفلا ترى أنه يرفعها ويقدها ويجعلها جديرة منا بكل إجلال ، ومن الدولة بكل عناية وتعدير ؟؟

نعم هي عطايا

مدرس الفلسفة بشيرا الثانوية الأميرية

والإنسان جزء من الكون . وكل أجزاء الكون ترتبط وتندمج في وحدته الكلية . والتربية من أهم تجارب الإنسان إن لم تكن أهمها جميعا . وسؤال الفلسفة هنا هو ماذا تقوم عليه التربية من أصول ، وما قيمة هذه الأصول ؟؟ ذلك أن التربية أسلوب زمني يعمل لإعداد الفرد كيا يحقق نوعه بإخراج ملكاته من القوة إلى الفعل ، والارتقاء به من الواقع إلى المثل الأعلى ؛ ولما كانت أغلب تجارب الإنسان تقع في حيز الزمن ؛ ولما كان الزمن يقص علينا قصة المجهول على لسان التطور الذي ما فتئ يعمل في الكون منذ السديم الأول إلى اليوم ؛ ولما كانت التربية هي تطور في الفرد مع شعور بهذا التطور ؛ ولما كانت سلسلة التطور تمتد في مجرى الزمن وتمتد حتى المطلق — أقول لما كان كل ذلك — فيها يلوح — حقاً ، فإنه يرجح لدى الأستاذ هرن Horn صاحب كتاب « فلسفة التربية » أن قصة الإنسان تتطور نحو الكمال ، وأن التربية هي وسيلة ذلك التطور . وإذا صح ما يقوله « هيجل » من أن تجارب الإنسان الزمنية ليست إلا مظهراً « للدائم الخالد » ، صح أن التربية من أهم هذه التجارب !!!

وتعترف الفلسفة بالعقل البشري كأخر منحة للجسم المضوى في تطوره ؛ وكوسيلة للخروج من اللاشعور إلى الشعور ؛ ولذلك تراها تضع يدها عليه لترقيه وتنميه معتبرة إياه أعظم أنواع الحقيقة الزمنية . ويقول هاملتون « ليس في الدنيا أعظم من الإنسان ، وليس في الإنسان أعظم من العقل » . ولكن من أين أتى هذا العقل ؟ أمن العدم ؟ أم من شيء غير عقلي ؟ لا بد من القول هنا « بعقل تام » قائم خلف عقلا المحدود ، وهذا العقل التام هو السبب الأول لمركز التربية في الإنسان — وهو العقل — بل وهو الضامن كما يقول ديكارت « الموضوعية » الحقائق العقلية ذاتها ؛ وتكون التربية على ذلك تحقيق للانسانية بجهد خاص قوامه الشعور بالنفس ؛ ولكن ما طبيعة هذا الجهد وما ملته بالكون ؟ سبق أن الإنسان جزء من كل ؛ ويتبع ذلك أنه محدود في شعوره بنفسه لأنه جزء مخبئ ؛ هذا بينا الكل الذي يحوى الإنسان ويحوى غيره يجب أن يكون مطلق الشعور بنفسه وذو نشاط ذاتي دائم ... وهذا الكل هو الله

ولما كان الإنسان عقلا بالقوة يتحقق بالفعل بالجهد أو بالنشاط

(١) ويبر عليها إثبات ذلك مما لا ينسج المجال لذكره

(٢) أنظر كتاب الأستاذ هورن Horn في فلسفة التربية الفصل الأخير

رِسَالَةُ الشَّعْرِ



غِب سماء
للأستاذ فخري أبو السعود

رَوِيَّ الطَّرْفُ والجَوَانِحُ رِيًّا
من جمال الأشياءِ لَمَّا تراءتْ
بعد يومٍ داجي السحابِ عبوسٍ
غالب الأفقِ لم يَبْنِ فيه حتَّى
أشرقَتْ في غروبِها وتبدَّتْ
فأحالتْ جِهامةَ الجوِّ بِشَرًّا
وأذابتْ شعاعها الصافي الأصفرَ في الماءِ والثرى والقضاءِ
وكستْ من ضيائها أخضرَ الأعشابِ حُسنًا وبَاسًا الأشْكَالَ
فها يَزْهُوَانِ في رِيْقَةِ القَطْرِ زَهَاءً وفي شُفوفِ الضياءِ
واستطار النسيمُ بعد ركودٍ وتمشَّى على سطوحِ الماءِ
وتراءتْ دونِ السطوحِ ظلالٌ
إنَّ في هذه الجلالِ لَرَوْحًا
تُعْجِمُ النفسَ غبطةً وهيامًا
وفي وَحْيِ الأشعارِ لاذمَّك الدهرُ
هي شِعْرُ الوجودِ أحرَّ به أنْ
خيرُ دُخْرِ النفسِ ديوانِ شِعْرِ
يسمُ الزهرُ فيه من كلِّ سطرٍ
فكأنِّي أُسِيرُ إذْ أُجْتَلِيهِ
قد تهادتْ بها الأُمَاليْدُ والأزْ
يصفُ المبهمِ الدقيقَ ويُحْصِي

ليلة قمرأ!

للأستاذ خليل هنداوي

أُحْبِجِي عن مقلتي بدر السما
هل لحت الكونَ لَمَّاعِ السنا
كل ما فيه سكونٍ حولنا
ولنا في القابِ ظلٌ وارف
كل دنيا ناهنا ، ما نبغني ؟
قد رأنا الليلَ من أشياءه
وكسنا النورَ ثوبًا راجئًا
نجمُ النورِ جناحًا وعلى
يتنقى البدرُ بأنْ يغربني
فيري. البدر الذي ألهمني
أنتِ في عيني وقلبي القمرأ
كل شئٍ فيه عينٌ تنظر
وضياء ضل فيه البصر
وغصون للهوى تهصر
لو أردنا لتدلَّى القمر
فتولانا ، ونام القـدر
تترامى فيه أو نستتر
غارب النور يطيب السفر
ليتما للبدر عينًا تبصر
مكرة تصحو، ومحوًا يسكرا
خليل هنداوي

بين ابن زبرود وولادة

شاعر الحب^(١) ...

للأستاذ محمد بهجة الأثرى

هداة إلى الصديق « الزيات »
مصور الحفظة والجمال والمحب
« الأثرى »

—>>><<<—

أَيُّ قَلْبَيْنِ إِذَا مَا اجْتَمَعَا وعيونٍ تتلاقى بميوت !
قَفْ تَأَمَّلْ خَفَقَاتِ نَطَقَتْ بالهوى وازنْ إلى السحر المبين
وَتَصَوَّرْ مِسْمِينَ التَّقْيَا وعناقين : خَدِينًا لِحَدِينِ
فِي أَحَادِيثِ كَأَنفَاسِ الصَّبَا وشذا الوردِ وَرَقْرَاقِ المَعِينِ
يَقْطَعَانِ الدَّهْرَ فِي ظِلِّ الصَّبَا بين لَئِمٍ وعناقِ وَأَنِينِ
كَلِمًا جَدَّ الهوى زَادَا بِهِ لَعِبًا يُغْرِى وَلَهْوًا وَحَنِينِ
هَلْ تَرَى مِنْ غِبْطَةٍ رَفَّتْ عَلَى مشهدٍ أَبْدَعَ بِحُلُوِّ وَرَيْرِينِ ؟
وَقَفَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ تَمَلًّا يَغْبِطُ الْإِلَاقِينَ كَالصَّبِّ الْغَبِينِ
لَا أَخَافَ اللَّهُ قَلْبًا هَانِمًا بيناتِ الحُسنِ مِنْ حُورٍ وَعِينِ

يَادْعَاءُ مَا اسْتَجَابَتْهُ السَّمَاءُ لَمُشْفِقِينَ عَلَى كَرِّ السَّنِينِ
لَيْتَهَا فِي عَاشِقِي قَرْطُبَةَ لَبَّتِ الْقَوْلَ لَنَدْلُ الضَّارِعِينَ
إِنْ مَا ذَاقَاهُ فِي ظِلِّ الهوى مِنْ أَفَاقِي خَلَّتْ ، عَادَ وَزِينِ
ضَرَبَتْ أَيْدَى النَوَى بَيْنَهَا وَالنَوَى أَقْتُلْ دَاءَ الْعَاشِقِينَ
النَوَى ؟ سَلْ بِالنَوَى مَنْ ذَاقَهَا بِرُلِّ الشَّكِّ وَيُخْبِرُكَ الْيَقِينِ
ظَلًّا بَرَّحَ ، وَشَوْقًا دَائِمًا وَجَوَى يُذَوِّى ، وَسَقَمَ وَجُونِ
مَا لَهَا طِبُّ يَدَاوِيهَا خَلَا عُرْدَةَ الرُّوْضِ قَرِينًا لِقَرِينِ

يَا لَسَانًا وَقَعَ الشَّجْوَ الَّذِي سَحَّرَ الدُّنْيَا وَهَزَّ الْمُفْرَمِينَ
وَلَدَتْ (وَلَادَةً) أَنْفَاسَهُ فَتَنَّاغَى بِأَفَانِينَ اللَّحُوفِ
قَدْ أَصَابَ الْحُبُّ مِنْ قَلْبَيْهِمَا عَاشِقًا طَهْرًا وَمَعشُوقًا رَزِينِ
مَا مَشَى الرَّيْبُ إِلَى قُدْسِهِمَا وَهُوَ النَّاسِ ارْتِيَابُ وَجُودِ
يُعْصَمُ النَّبْلُ وَيُحْمَى حَوْضُهُ بِقُوَى النَّفْسِ وَبِأَخْلَاقِ الْمُتِينِ
بِعَرَفِ الصَّدَقِ أَخُو الصَّدَقِ قَدَغَ كَذِبِ الشَّكِّ وَغَمَزَ الْجَاهِلِينَ
رَبِّ حَبِيرٍ كَنَمِرِ الْمَاءِ فِي صَفْوَةٍ : طَهَّرَ وَعَذَّبَ وَمَصُونِ

محمد بهجة الأثرى

(جناد)

حَيَّ مِنْ شَاعِرٍ فِي النَّابِرِينَ عَاشَ حَيًّا فِي قُلُوبِ الْعَاشِقِينَ
شَاعِرُ الْحُبِّ ، وَمَا أَعْظَمُهُ لَقَبًا يَحْيَا بِهِ فِي الْخَالِدِينَ !
شَاعِرُ الْحُبِّ ، وَمَا الدِّيَاسُوى نَعَمَ الْحُبِّ وَشَعْرِ الْمُفْرَمِينَ
وَبَقَايَاهَا فَضُولُ مُنَيَّتْ بِتَعَاطِيهَا نَفْسُ الْأَكْرَمِينَ
هَلْ يَرُوقُ الْعَيْشُ فِي غَيْرِ هَوَى أَوْ يَرُوقُ الْعَيْشُ فِي غَيْرِ حَنِينِ ؟
لَا وَدَلَّ الْغَيْدُ فِي فَنَنِيهِ وَجَلَالِ الْحَسَنِ فِي الْخُلُقِ الْحَصِينِ

جَلَّ مَارْقَرُهُ فِي شَعْرِهِ مِنْ دُمُوعٍ وَزَفِيرٍ وَأَنِينِ
قَطَعُ مِنْ كَبِدٍ مَقْرُوحَةٍ صَلَّيْتُ فِي الْحُبِّ نِيرَانَ الشَّجُونِ
وَفُؤَادٍ مِنْ تَبَارِجِ الضَّى ذَابَ إِلَّا رَمَقًا لَا يَسْتَبِينِ
قَطَرَتِهَا شَجَنًا أَنْفَاسُهُ كَحَنَانِ الْإِلَفِ نَادَاهُ الْقَرِينِ
وَجَلَّتْهَا فَنَنًا أَشْعَارُهُ كَرُوءِ السَّحَرِ ، نَسِي النَّظَارِينَ
ضَحِكُ فِي دُمْعَةٍ رَقْرَاقَةٍ وَتَعَالَى فِي خُضُوعٍ مُسْتَكِينِ
لَمَحَاتُ تَتَبَرَّى مَسْرَعَةً كَوْمِضِ الْبَرْقِ أَوْ نَبْضِ الْوَتِينِ
مِنْ ضَلَالِ النَّفْسِ فِي حَيْرَتِهَا وَخَدَاعِ الْقَلْبِ بِالْوَصْلِ الضَّنِينِ
يَرْهَبُ الْفُرْقَةَ أَنْ تُفْرِعَهُ وَيَخَافُ الدَّهْرَ أَلَّا يَسْتَكِينِ
بَيْنَ يَاسٍ مِنْ يَقِينٍ عِنْدَهُ وَرَجَاءٍ يَتَغْنِيهِ فِي الظُّنُونِ
مَا دَرَى الْأَمْنُ فُؤَادَ عَاشِقٍ سَاعَةً دُونَ ارْتِيَاعٍ مِنْ كَيْنِ

(١) من ديوان « ظلال الأيام » المائل للطبع



الفن الهندي النحت والتصوير للدكتور أحمد موسى

— ٣ —

—>>><<<—

ما تم عمله بحالة فائقة من الدقة التي تدعو للاعجاب . وقد بلغ ارتفاع بعض التماثيل حوالى ثلاثين متراً وهذا ارتفاع هائل شابهوا فيه المصريين بعض الشبه

وسار النحت البراهمي نحو القصة والدين ، إلا أنه كان أكثر تمعقاً وأبعد خيالا ؛ فأظهر لنا في وضوح حياة الآلهة والأبطال فضلا عن بعض مناظر لحيوانات خرافية ولراقصات ومغنيات خصصن لخدمة المعابد برقصهن وغنائهن

ولعل الطابع المميز لهذه النحوت أنها كانت لا تمثل الحقيقة الخالصة في مجموعها ، وهذا يخالف بالطبع ما سبقت مشاهدته من منحوتات الإغريق (راجع الرسالة : أ كروبوليس أننا — النحت) ولم تكن هذه الظاهرة لتنع من تمتعها بقسط كبير من الحياة وجمال التكوين . فالآلهة التي نحتت بحيث كان لها ستة أيد كانت وجوهها وملاعها دقيقة الإخراج ، بدت عليها مظاهر العظمة الدينية . هذا فضلا عن الدقة والناية في سير خطوطها التحديدية ولا سيما في الأشكال التي مثلت المرأة عند ما عني الفنان بإظهارها رشيقة



ش ١ — تماثيل على حائط معبد إبلورا

وتناول النحت الهندي ناحية أخرى جديرة بالتسجيل ،

وبلغت الثروة الفنية في النحت الهندي مبلغاً عظيماً من الكثرة والانتان ، وذلك بالنظر إلى ما بقى منها في المعابد والمباني الأثرية الكثيرة التي كان الدافع إلى تشييدها الرغبة الأكيدة في خدمة العقيدة الدينية

وقد انقسمت منحوتات الهند إلى قسمين أولهما النحت نصف البارز الذي بلغ حيناً درجة التجسم الكامل لولا التصاقه بالأرضية الموجودة تحته ، وثانيهما النحت الكامل المرفوف بالتماثيل ولما كانت النحوت والتماثيل قد أنشئت للمعابد وما إليها بقصد تنسيقها وتجميلها ، فإن معرفة تطور النحت الهندي معرفة صحيحة تكاد تكون غير ممكنة بالنظر إلى السبب السابق التنويه به في المقال الأول

وقد شملت النحوت والتماثيل الناظر الخيالية والدينية ، ولكنها كانت في جوهرها بعيدة عن الاقتباس من الطبيعة . ثم حاول الفنان الهندي أن يصور الحقيقة في منحوتاته فسار متجهاً إلى الناظر الحربية ، وإلى مناظر حياة بوذا في منحوتات نصف بارزة وجدت في توياسانتشي

أما بقية النحوتات البوذية بوجه عام فكانت دينية وقصصية نحتت على الحوائط الداخلية والخارجية للمعابد ، وكان من بينها

خصصت للتعبير عن الجمال أو مواقف الفرام بين رجل وممشوقته
ولعلنا بالنظر إلى الصورة المنقولة عن حائط معبد أدشوتا
نلاحظ حرص الفنان على صدق المحاكاة بالرغم من بساطة الخطوط ،
فالتسعة الرؤوس تكاد تكون متشابهة من حيث اللامع والتكوين .
أنظر إلى الشعر وإلى العيون والحواجب والشفاه تر أنها كلها
لجنس واحد من الناس

وقد اجتهد الفنان في تصوير الأيدي مختلفة الأوضاع ؛ فتراها
جعلها قابضة مرة على عقد وأخرى مشيرة ، وثالثة منبسطة
على كتف

وهذه الصورة وإن كانت بسيطة بالنسبة إلى غيرها ؛ إلا أنها
تعطي فكرة صادقة عن روح التصوير الهندي

امجد مرسى

وهي ناحية المناظر الدرامية ، منها قطعة مشهورة اسمها « تطاحن
الآلهة » ، وأخرى اسمها « أحلام الوصول » وهما وإن كانتا من
المناظر الدينية ، إلا أنهما أقرب إلى تمثيل النفس الفنية ، وما
يمكن أن تسبح فيه من خيال ، وقد تمكن الفنان من إخراجهما
بقوة تمثلت في إظهار فهمه للطبيعة وما يدور فيها من مظاهر الحياة



ش ٢ — تحت نصف بارز من مهالمياپور

وتكاد تكون مجموعة معبد إبللورا (راجع المقال السابق)
وكدشوارو من خير ما تركه الفن الهندي في التحت
أما التصوير فكانت غالبية مرسومة على حوائط المعابد ، إلا
أنه مع الأسف لم يبق منه شيء كثير من القطع الكبيرة
ويقلب على الظن أن أروع مصورات هندية هي تلك التي
على حوائط معبد أدشوتا (القرن الخامس بعد الميلاد) ، وتمثل
بوذا والاحتفالات الدينية ، وبعض مناظر الحروب والصيد ،
وكانت خالية من قواعد وأصول الرسم المنظور ، ولكن هذا
لا يمنع من اعتبار خطوط التحديد جيدة لدرجة أكسبت الأجسام
شيئا كثيرا من الروعة والحياة

أما الألوان فكانت قوية اختارها المنود جذابة للنظر لما
غلب عليها من دقة الاختيار وحسنه . ويتلخص التطور الذي
طرا على فن التصوير الهندي في أن الساحات المشغولة به كانت
كبيرة ، ثم أخذت في الصغر حتى أصبحت تقرب من تلك التي
تعلق على الحوائط في أيامنا هذه ، بل إن الكثير منها رسم في
مساحة الكتب العادية

هذا إلى أنها كانت شاملة في أول أمرها لعدة أشخاص ثم

مجاناً للمرضى والضعفاء

جميع الأمراض المزمنة والعيوب الجسدية والنفسية :
التخافة . السمعة . قصر القامة . الإمساك . الروماتزم .
ضعف الأعصاب . الاضطرابات النفسية الخ ... تعالج بنجاح
بطريقة فائق الجوهرى دبلوم في الطب الرياضى والطبى
والنفسانى من كليات إنجلترا وأمريكا
كتاب الإنسان الكامل بريك طريق الصحة والقوة
والجسم الجميل والشخصية الجذابة في ١٠٠ صفحة مجاناً
لكل من يطلبه من

مصر الجوهري للتربية البدنية والعقلية

١٠ شارع قنطرة غمرة بمصر — تليفون ٥٠٣٥٩

أطلب نسختك من الآن

البيادة ٢٨ شارع فؤاد الأول تليفون ٤٤٩٠٣

والزيارات من ١١ — ١٠ ومن ٦ — ٨ مساءً

ما عدا يوم الأحد

وتوجد بها جميع المعدات الحديثة للتمرين والتذكيل والحمامات

الطبية والأشعة والكهرباء والتحليل النفسى الخ ...



مهرلة الملك بمحضر دروس الدين في رمضان

يحرص جلالة الفاروق أيد الله ملكه على أن يحيي سنن الراشدين من خلفاء الرسول ، والصالحين من ملوك الإسلام، فشاءت جلالة أن يحضر دروس التفسير والحديث التي يلقها في المسجد الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر في مساء كل خميس من شهر رمضان . وقد كان يوم الخميس الماضي افتتاح هذه الدروس بمسجد الأبو صيرى في الاسكندرية . ففي الدقيقة الخامسة والعشرين من الساعة التاسعة أقبل موكب الملك الأعظم فاستقبله على باب المسجد العلماء والنبلاء والوجهاء والشيوخ والنواب وجمهور حاشد من طبقات الشعب ، ثم أخذ مجلسه المتواضع في بيت الله بين عباد الله وشرع الأستاذ الراعى يلقى درسه الجامع بعد أن مهد له بهذه الكلمة البليغة قال :

« قبل أن أشرع في المحاضرة أرى لزماً على وأداء للواجب أن أتى لولاي حضرة صاحب الجلالة « الملك فاروق » الأول أعزه الله يعمد حقه على الإسلام والمسلمين من الثناء والشكران ، فقد أعاد سنة من سنن الإسلام بتحيته وبندائه الذي أذاعه أول يوم من رمضان هي سنة الأمر بالتقوى والاعتصام بهدى الله وأوامره تصدر من ولى الأمر ، وهو أعزه الله باستماعه لمحاضرات دينية قد أرشد الناس إلى الرجوع إلى الحق وسماح آى الكتاب الكريم والسنة المطهرة

تلك نعم من الله تستوجب الشكر والدعاء بدوامها . ومما يزيدنا غبطة أن هذه الرعاية من الملك المعظم للدين جاءت في وقت نبت فيه عند الشبان من أبناء الجيل فكرة الرجوع إلى الدين والاعتزاز به ومما لا ريب فيه أن تعهد هذا الشعور سينميه ويقويه ويصل به إلى أبعد الغايات وأحب الثمرات . حقق الله الآمال وأدام « الفاروق » ذخراً للإسلام والمسلمين ولأهل الوطن أجمعين »

وقد انتهى هذا الدرس الدينى في الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة فما كاد جلالة ينصرف من المسجد ويندأ الموكب الملكى في العودة إلى قصر المتزة حتى هبت عاصفة التصفيق والهتاف بحماسة الملك الصالح ، وظلت تلاحق الموكب حتى عاد إلى القصر الملكى باليمن والإقبال الموسوعة الإيطالية (انسكلوبيديا اىالبانا)

منذ أسابيع قلائل ظهر المجلد الأخير من الموسوعة العلمية الإيطالية (الانسكلوبيديا أو دائرة المعارف) ؛ وهو المجلد السادس والثلاثون . وإصدار هذه الموسوعة الضخمة من أعظم وأجل الأعمال العلمية التي تمت في العهد الفاشستى ؛ وقد وضع مشروعاتها لأول مرة في سنة ١٩٢٥ ، وكان روح المشروع هو السنيور موسوليني نفسه ؛ وتبرع لمعاونة المشروع عدة من رجال المال الإيطاليين في مقدمتهم السنايور جوفانى تريكانى ، وهو من أقطاب الصناعة ومن هواة العلوم والفنون ؛ وانتخب العلامة السنايور جنتيلي لإدارة المشروع والإشراف على إخراج الموسوعة ؛ وصدر المجلد الأول منها في ربيع سنة ١٩٢٩ ، ووعد القارئون بأمرها يومئذ بأن المجلد الأخير منها سيصدر في سنة ١٩٣٧ ؛ وكانوا عند وعدهم . ودعا السنايور جنتيلي ، وهو من العلماء والكتاب الأجلاء ، كتاب العالم وعلماءه في كل فن وفرع ليشتروا في تحرير الموسوعة الجديدة ، وأعدت عليهم الهبات الوفيرة ، ولم تعترض معاوتهم أية اعتبارات حزبية أو قومية ، إذ حرص القارئون بالأمر على أن يسود المشروع كله جو علمي بعيد عن جميع الاعتبارات . وقد صرح السنايور تريكانى حين تقديمه المجلد الختامي من الموسوعة إلى السنيور موسوليني بأن الموسوعة الإيطالية اتخذت نموذجها من الموسوعة البريطانية وصدرت على طرازها باعتبارها مثلاً أعلى لهذا النوع من العلم المحشود ؛ وإنهم مع ذلك حاولوا بإصدارها التفوق على الموسوعة البريطانية . ومن

فرايا ستارك عاشت في بعض أحياء لندن الفدرة لما سولت لها نفسها إيراد ما أوردته في كتابها عن الحى البندادي الذى لم يرغما أحد على أن يكون مستقرها في الفترة التى قضتها في عروس مدن التاريخ ... هذا وقد تكلمت الآنسة عن العلاقة بين العرب في العراق وبين الإنجليز فصرحت أنها تقوم على النفاق ، وأن العراقيين في طول البلاد وعرضها يضمرون للأجانب عامة البغضاء والكراهية ، واستنتجت ذلك من مرورها مرة وهى ترور النجف بصانع أحذية طاعن في السن ما كاد ينظرها حتى اتصرف عن عمله وراح يحدجها بنظرات عدائية ارتجفت لها أعصابها ... وهذا بطبعه استنتاج سقيم كان من المآخذ الكثيرة التى استدركتها على الكتاب صحيفة التيمس الأدبية

دور الضيافة العربية

منذ عامين أنشأت نقابة الصحافة الفرنسية في باريس بعاونة الحكومة نادياً للضيافة سمته دار الضيافة الفرنسية *Acceuil de France* وأعدته لزول الصحفيين الأجانب الذين يزورون باريس زيارة قصيرة ؛ فهناك يحتفى بهم وتقدم إليهم جميع المعاينات والمعلومات اللازمة لتسهيل مهامهم وأغراضهم العلمية والسياحية . وفي هذا العام استطاع نادى القلم الفرنسى أن يحمل الحكومة الفرنسية على أن تخصص داراً عظيمة نفمة لزول الكتاب الأجانب الوافدين على باريس ؛ وتقع هذه الدار في حى الشانزليزيه أنغم أحياء باريس في شارع بيرشارون ، ويمكن لجميع كتاب العالم الذين ينتمون إلى نوادى القلم أن ينزلوا فيها ضيوفاً على الحكومة الفرنسية ؛ وقد حددت مدة الضيافة بخمسة أيام فقط نظراً لكثرة الكتاب الوافدين على الدار وفي خلالها يقدم طعام الإفطار إلى الضيوف ، وتوضع تحت تصرفهم جميع المعاينات والتسهيلات الممكنة لزيارة المعالم الأثرية والفنية . ومنذ أوائل الصيف الماضى تقوم هذه الدار الفخمة بمهمتها في استقبال الكتاب من مختلف الأنحاء

ونحن في مصر في حاجة إلى دار للضيافة من هذا الطراز ؛ ولا نقول إنها يجب أن تمتد لاستقبال جميع الكتاب الوافدين إلى مصر ، بل يكفي أن تمتد لزول الكتاب والأدباء الذين يقدون علينا من الأفطار العربية والاسلامية ؛ ونحن نستقبل

محاسن الموسوعة الجديدة أنها لم تكن مشروعاً تجارياً بل كانت مشروعاً علمياً فقط ، وأنها حسباً يصفها المشرفون عليها ، قصدت إلى غاية علمية جليلة هى أن تلخص العلم الايطالى المعاصر والثقافة الايطالية المعاصرة ؛ ولكن هناك ملاحظة جديرة بالتقدير ، وهى أن كل ما تخرجه ايطاليا الفاشيستية من صنوف التفكير والثقافة يصطبغ بصبغة الدعاية العميقة للفاشية ونظمها ومزايها للزعومة ؛ فاذا كان أثر هذه النزعة في إصدار الموسوعة الايطالية ؟ يقول النقدة الذين درسوا الموسوعة إنها جاءت لحسن الطالع بمجهوداً علمياً لم تطفح عليه شوائب الدعاية القومية المنظمة ؛ وإذا كانت في الواقع تعتبر أعظم وأغزر مصدر لكل ما يتعلق بالفاشية ، فان ذلك طيبى لا غبار عليه لأنها تصدر عن بلد النظم الفاشستية . وقد تولى السنيور موسولينى نفسه كتابة المقال المتعلق بشرح النظرية الفاشستية ، وكتب السنيور قولبي وزير الطيران تاريخ الفاشستية . وإذا كانت الموسوعة الجديدة تنم عن نزعة ثورية في النظر إلى مناحى العلوم والفنون ، فهى أيضاً نزعة طبيعية في بلاد يعيش في عهد تطور وثورة ؛ بيد أنه يمكن أن يقال بوجه الاجمال ، إن الموسوعة الايطالية بمجهود علمي جليل قبل كل شئ ، وإنها مفخرة علمية خالدة لايطاليا الفاشستية ، وإنها قد استطاعت أن تحقق إلى غاية بعيدة كل ما قصده المشرفون عليها من تلخيص الثقافة الايطالية المعاصرة ، وإنها قد استطاعت أن تتحرر من كل نزعة قومية أو حزبية أو جنسية أو دينية خاصة ، وإنها أخيراً فتح على عظيم يستحق كل إعجاب وتقدير

صور بغدادية

أصدرت مس ستارك (مذكراتها) عن بغداد في كتاب بالإنجليزية سمته *Baghdad Sketches* وقد كتبته في الفترة التى عاشتها في هذه المدينة الخالدة مكبة على تعلم اللغة العربية وأختها الفارسية . والكتاب على طرافته خليط من الحق والباطل والماضى والحاضر ؛ وفيه - برغم مزاياه - ظلم كثير للعرب ، ونسيان للجميل العظيم الذى بنى أن يذكره الإنجليز إلى الأبد لهذا القطر الشقيق ... وقد كانت المؤلفة تعيش في صميم بغداد ، ومن هنا كانت هذه النظرة السوداء لطرق معيشة البنداديين ، والنسب على قذارة الحى الذى كانت تعيش فيه ... ولو أن الآنسة

على أنه يبق أن تثبت التجارب العلمية ما إذا كان هذا المحلول الذي اكتشفه العالم الإيطالي يكنى لحفظ الجثث آماداً طويلة ، وهذه هي عقدة المسألة كلها . وقد كان يبروتا طالباً في معهد تورينو وتخرج فيه ، ولكنه اضطر لفقره أن يلتحق بوظيفة صغيرة ؛ إلا أنه شغف بالتجارب الكيميائية وأنشأ له معملًا صغيراً في منزله وأجرى فيه تجاربه ؛ ولا وقفت الجامعة على جهوده سارعت لماوته ووضعت معملها الكبير تحت تصرفه حتى اهتدى بتجاربه المديدة إلى اكتشافه المذكور

انعقاد المؤتمر الطبي السنوي في بغداد

قررت الجمعية الطبية المصرية عقد مؤتمرها السنوي العاشر بمدينة بغداد في المدة بين ٩ و ١٣ فبراير القادم وستناول المؤتمر بحث الموضوعات الآتية :
جراحة الكبد والحويصلة الصفراوية — اللاريا — الكوليرا —
موضوعات متنوعة جراحية وباطنية (من بينها الحى التمزجة وحة بغداد) — توحيد المصطلحات الطبية في اللغة العربية وترجوا الجمعية من حضرات الأطباء الراغبين في إلقاء بحوث عن هذه الموضوعات إحاطتها علماً بالموضوع الذي يختاره كل منهم مع ملخص بسيط عنه
أما قيمة الاشتراك في المؤتمر ، فهي جنيه مصري يرسل باسم سكرتير الجمعية العام (بريد قصر العيني) . وستعلن الجمعية قريباً عن البرنامج التفصيلي الشامل لحضور المؤتمر

أسبوع الكتاب الألماني

جرت عادة الجالية الألمانية في مصر أن تقيم في كل سنة معرضاً تطلق عليه « أسبوع الكتاب الألماني » . وقد أقامته هذه السنة في القاعة الكبرى بالبيت الألماني في شارع الترعة البولافية رقم ٧ تحت رعاية وزير ألمانيا الفوض ومن أمم ما عرض في هذه السنة ما كتبه الألمان عن مصر في مختلف الأزمان ، إذ قدم المعهد الأثرى الألماني للمعرض نخبة من المؤلفات القيمة في هذا الباب وظل المرض مفتوحاً يوم السبت والأحد وأقيمت في منتصف الساعة الثانية عشرة من صباح الأحد أمس حفلة موسيقية اختتم بها أسبوع الكتاب الألماني

الكثيرين من هؤلاء الإخوة في كل عام وكل فصل ، ولانستطيع في معظم الأحيان أن تقدم إليهم ما يجب من حسن الضيافة والمماونة . فملى هيأتنا الصحفية والأدبية أن تبذل السعى اللازم لدى الحكومة حتى تظفر بتحقيق هذه الأمنية التي بماون تحقيقها في توثيق الروابط الأدبية والاجتماعية بين مصر وشقيقاتها

اكتشاف مبرر لسر التحنيط

هل اكتشف العلم الحديث أخيراً سر التحنيط عند الفراعنة ؟ هذه مسألة تمنى بها الأوساط العلمية في أوروبا وأمريكا منذ حين عناية خاصة ، وتبذل الجهود من آن لآخر للوقوف على سر ذلك المحلول العجيب الذي كانت تقع فيه الجثث المخططة فيكنى لحفظها من العطب والتحلل آماداً طويلة ، بل آلافا مؤلفة من السنين كما تشهد به مومياء الفراعنة التي تحتفظ بها مصر وكثير من المتاحف العالمية . ولقد كان التحنيط على هذا النحو فناً من فنون المصريين القدماء برعوا فيه إلى الناية ؛ ولكن تسربت منه على ما يظهر في العصر القديم معلومات إلى بعض الأمم المعاصرة كالآشوريين والفرس ؛ بيد أنه لم يبلغ في حضارة من الحضارات القديمة مثل ما بلغه عند المصريين القدماء

وقد بذل العلم الحديث محاولاته لاكتشاف هذا السر مهتدياً بما كتبه المؤرخ اليوناني الكبير هيرودوت عن التحنيط عند الفراعنة حسبما شاهده ودرسه بنفسه لدى المخططين المصريين وهم الرهبان في ذلك العصر ؛ ولكن رواية هيرودوت لم تلق قط على حقيقة المواد التي كانت تستعمل ضوئاً كافياً ، وكل ما هنالك أنه يتحدث عن محلول « النترول » . وفي أواخر القرن الماضي استطاع بعض العلماء الألمان أخيراً أن يهتدى إلى مركب تحفظ به الجثث المخططة ولكن إلى أعوام قلائل

والآن نحمل إلينا الأخبار من إيطاليا أن الباحث التي كانت تجرى منذ حين في جامعة تورينو قد انتهت بالوقوف على سر المحلول الفرعوني للتحنيط ، وأن الكيميائي الإيطالي السنيور سالفانوري يبروتا قد استطاع أن يهتدى إلى محلول تحفظ به جثث الحيوانات المخططة أعواماً طويلة دون أن يصيبها البلى ، بل تبقى كأنها حية تماماً . ويقول أستاذة المعهد الكيميائي بجامعة تورينو إن يبروتا قد استطاع حقاً أن يقف على سر التحنيط بهذا الاكتشاف ؛



من أساطير الأفريقيين

٣ - خرافة جاسون

للأستاذ دريني خشبة

—>>><<—

— « وله ؟ أأنت بن ملك مثلها ؟ أأنت صاحب عرش عظيم ؟ أليس لي ملك تساليا بعد أن أعود من رحلتى هذه ؟ — بلى يا بني ! ولكنها تخشى أباهما أشد الخشية . أليس يرى فيك عدوه الأكبر لا تريد من استلابه الفروة الذهبية التي هي أكبر كنوزه ؟

— دعى هذا الآن يا أماء ، ولكن طمئنني كان الله لك ، هل تحبني ميديا حقاً ؟

— ومن أنباك هذا ؟

— نبأ تفييه ربة من السماء لا تفضل ولا تنسى !

— ربة ؟ قدس اسمها ؟ من عساها تكون يا ترى ؟

— هي جونو يا أعز الأمهات ! لا أكذبك ، إنها جونو !

— أتعرف ما تقول ؟

— وهل يكذب بشر على آلهته ؟

— إن كان ما تقول حقاً . فلا أذيع سرّاً أذاعته سيدة

الأولب ، ومليكة جوف الكبير التتال ؛ إن ميديا يا بني مولعة بك ولوعاً شرد التام من عينها ، وجعلها في أيام معدودات طيفاً لا يردد لسانه غير اسمك ، ولا تذرف عيناه إلا من أجلك .. و ..

— ميديا تبكي ؟ ومن أجلى ؟ ولم تبكي ؟

— تبكي لأنك كلت بأمور لا تحملها الجبال ! وأين أنت

من يحلّي قللكان والأرض الجيوب التي لارس ؟ ومن أنت والجيش العرمم من المردة من نبات أنياب التين ؟ ثم من أنت وما هذا كله في التين الهائل الذي يحرس الفروة ؟ حقاً لقد جازفت بنفسك حين وافقت الملك على خوض تلك المخاطرة ..

— وما الرأي إذن ولا بد مما ليس منه بد ؟

— الرأي أن تلق ميديا فهي حبيبتك ، وإن عندها ، فضلاً

عن ذلك ، أمّ كتاب السحر ، ولن تبخل عليك بملها مهما كافها ذلك من حسنّ أيها ، وإغضاب أربابها

لقد كان الليل يضرب على العالم بجمرانه ، وكانت النجوم تلهب في فحمته كقلوب المحبين ، والفرقدان يتقدان من هول الزيارة المضروبة بين العاشقة المدكّمة ، والفتى المقاحم ذي الآمال وأقبل جاسون فوجد العجوز تنتظره عند الباب الخلقى ...

وهمت إليه فسار في إثرها حتى كانا عند منمرج مسوّج بنبات ذى عساليج ، يؤدي إلى رجة واسعة ينتشر في أرجائها أرج الورد والرياحين ، حتى ليوقظ القلوب النائمة ، ويسطرها بفغمة^(١) الحب ، ويسكرها برحيقه المختوم الذي كله لغو وتأنيم !

وهناك ، كانت تنتظره ميديا بنفس غرثي^(٢) ، وقلب ظالم خفيق ، فلما رآته غمرها إحساس نائر ، واستولت عليها عاطفة صارخة ، لم تستطع معها إلا أن تاتى بنفسها على صدره القوي الرحب ، تبلله بدموعها ...

ووقف جاسون ساكناً هادئاً ، كأنما كان يوجس خيفة من هذا الحب الذي أقلل فحاة سباحه ويدّأراً عليه ، ويدفع بعضه

(١) الفغمة : الرائحة الجليّة

(٢) غرثى : جائحة والمراد مشوقة

بعضاً من حوله ... لقد كان قلبه بارداً كالثلج ، وذراعاه جامدتين كالرخام ... وكانت ميديا تبكي وتثر اللؤلؤ من عينيها الرئجفتين ، ولكنه لم يستطع أن يرد تحية واحدة من تحايا هذه الدموع ... وكأنما كان يحس ، حينما كانت الفتاة تلف ذراعيها حوله ، أن حية رقطاء تتحوي عليه ، وتنفث سمها فيه ... لماذا ؟ لم تكن إلا الآلهة وحدها تدري !!

— جاسون ... أحبك ... أحبك من أعماق أغوار قلبي !
لم أكن أعرفك قبل أن رأيتك من الشرفة تكلم أبي ، فلما رأيتك فنتيت فيك ...

— أشكرك يا عزيزتي ... أشكرك شكراً لا أدرى كيف أعبر عنه !

— جاسون ! ألا تكون لي إلى الأبد ؟

— أنا خادمك ... بل عبدك إذا شئت !

— لم رضيت لنفسك ما عرضته عليك أبي يا جاسون ؟

— وماذا يخيفني يا ميديا ؟ نحن الاغريق لا نرهب الردى ، ولا نخاف الموت !

— هذا جميل ... ولكن الموت أكره الأشياء وأقبحها لئلا هذا الشباب !

— قد أنتصر ، والنصر ، لا سيما في المخاطرات ، أجل تاج يتألن على جبين الشباب !

— هذا محال إذا لم أساعدك !

— تساعدينني ؟

— أجل !

— وكيف ؟

— عدتي أولاً !

— وبماذا أعدك يا أعز الناس !

— أن تكون لي ... أن تزوج !

— أعدك !

— بل أعطني موتك !

— أقسم لك !

— بل احلف بجونو ؛ فهي حارستك ! وأحلف بهيا كاتيه !

— أ ... أ ... أحلف ! أحلف بجونو ! وبهيا كاتيه !

— تحلف بجونو ماذا ؟

— أحلف بجونو أن تزوج !

— وأن يعيش كل منا للآخر إلى الأبد !

— أ ... أ ... إلى الأبد ؟ !

— إذن ... لاخير عليك ... مستنجد من كل شيء

يا جاسون ... خذ !

— ماذا يا ميديا ؟

— أسلحتك التي تملك !

— أسلحتي ؟ هاتان عُلبَتَان ... وهذا حجر أسود

صغير ! أكل هذه أسلحتي ؟ ماذا أمتنع بها ؟

— علبه من فضة إذا فتحتها اصاعدت منها ريح تفل من

حدة عجلى قلكان ، وتقي وجهك حمر النار التي ينفثها

من منخريهما ، فتستطيع أن تلجمها ، وتضع على عنقيهما التبر

حتى يكون المنقوم^(١) بيدك ... أما الحجر الأسود الصغير

فتنذفه وسط المحاررين الذين تنبهم أرض مارس الجيوب ،

وإنه لحجر مسوم من سجيل ، يحملهم كمصف ما كول !

وأما العلبه الصغيرة الذهبية فتنتثر مما بها من طيب في وجه التين

فيسكر وتتخدر أعصابه وينام لساعته ، ولك عندها أن تقضى

عليه ...

وسكنت ميديا ...

ومدت فمها إلى جاسون ، فطبع عليه قبلة فارة خائفة ترتجف

وترتعد ، مما سمعت من سحر الحجر الأسود ، وريح العلبه الفضية ،

وطيب العلبه الذهبية !!

وكان الجو المبروس القمطرير يزيد في منظر الحفل الحاشد

(١) المنوم الحشبة بين الثورين يملك بها الحرات — أما النير فالتعبية

التي تشد الحرات على عنقيهما (التالي)

روعة ورهبة ؛ وكان الملك الجبار يملأ بجسمه الضخم عرشه المرد فوق الأكمة الشرفة على الأرض الجيوب المقدسة باسم مارس ، وكان الناس الذين أقبلوا من كل فج مشاة وعلى كل ضامر يجلسون على الشعاف وأحياد الجبال المطة على الميدان متراحمين متدافعين كأنهم في يوم حشر ... وكان إخوان جاسون يجلسون عصبة بينهم وفي قلوبهم حشرات على صاحبهم ، وألسنتهم ماتت عن الدعاء له ، والتوسل إلى الآلهة من أجله ... وكانت ميديا المتيدة تجلس في ركن من مقصورة الملك تنعوذ وتعوذ وتطلق الرقي ...

ثم دق الناقوس الكبير فصمت الناس وشملهم سكون عجيب .. وانفتح باب الزرب فبرز مجلا فلكان ثم جملا يعصفان ويتلطان^(١) ويتفتان من منخريهما شرراً ودخاناً يختلط بهما لهب أزرق ماسٍ شيئاً في الميدان إلا حرقه ... حتى العشب الرطب المندى ببله المقيم اليابس ... ، وبرز جاسون من مكانه ، فأنجبت أنفاس الناس ، وسكنت الريح ، وأشرفت الآلهة من نوافذ السماء تنظر إلى هذا اللقاء العظيم ... وأهبط^(٢) أصحاب البطل وطارت ألوان وجوههم ، وتحس كل منهم فؤاده ... ولكن جاسون الهائل خطر شطر المعجلين غير هباب ؛ وعليه دروعه ، وفي يده سيفه ؛ فلما كان قاب قوس منها جعل يتلطف بهما ، ثم فتح العلبة الفضية فصمدت منها ریح هدأت ثورتها وأسلست قيادها فأسرع إلى النير فوضعه على عنقيهما وشد وثاقه ، ثم ربط إليه المحراث وبدأ عمله الشاق ... وكانت الريح السحرية قد بطل عملها أو كاد فعاد العجلان إلى سابق دأبهما من التوحش والقصاص والشوب^(٣) وغاد منخراهما يقذفان دخاناً أبيض وشواظاً ... بيد أن جاسون سيطر عليهما حتى أتم حراث الأرض كلها ، ثم قادهما إلى زربها وأطلقهما ، وغلن عليهما ، وقصد ناحية الملك يسأله أنياب التين

(١) الاعراف البير السريع الذي يثير الأرض ، ويتلطان يختلطان في سيرها

(٢) مدوا رؤوسهم

(٣) أن ترفع الدابة يديها غاضبة

ليزرعها ... فدفعها الجراس إليه وطفق يرميها في الأرض الرجة حتى إذا فرغ من عمله ، نظر فإذا رؤوس مقنعة في خوذات من حديد تنبت من الأرض ، ثم تنمو فتبرز الرقاب ، ثم تظهر الصدور وعليها الدروع السابغات ، ثم تشقق الأرض وتكون الجدوع كلها من فوقها ، وتخلص الأذرع وفي أكفها السيوف المرفعة تلاعب الهواء ... ثم ترتفع الأنفاذ وعليها كل لامة دلاص^(١) ، ثم يقف أمام جاسون جيش عرمرهم من هذه الشياطين المسلحة ترعى وتزبد وتزار ، ثم يتفض عليه الجيش بأكله وقد شرع كل جندي حسامه ، فيتلقاهم البطل بأحسن ما علمه شيرون أستاذة العظيم من قوة في كر ، وحزم في فر ، وحذق في تحرف لقتال ، ورسم لخطط للنضال ... وكان الملك ينظر إلى كل ذلك ويتعجب ، وكان الشعب يفرغ أفواهه من دهش وذهول ... وكانت ميديا - برغم ما سلحت به جاسون من سحر - تمسك قلبها الخفاق يدين مرتجفتين ... أما رفاق جاسون ، فوارحتاه لهم !! لقد كانوا يرون الأبالة يحدقون به من كل صوب ، ويزلزلون الأرض تحت قدميه ، فتزيغ أبصارهم وتقلب قلوبهم ، وتتلجج مشاعرهم ، وينظر بعضهم إلى بعض ، لا يملكون لهذه الحال رداً ولا دفعا

وظل جاسون يناضل ويناضل ، وكلما قتل عشرة وقفت مائة مكانها ، وكلما جندل مائة بُدلت بألف ؛ فانتدفت شيء من الرعب في قلبه ، ومضى إلى نفسه ديب من اليأس كاد يقتله ، لولا أن أقبلت جونو تكلمه في نسمة روح من قلبه ، وتذكره بالحجر الصغير الأسود ... ولكن الحجر الصغير الأسود كان في جيب صدره ، فأنى له به ولو غفل لحظة عن الدفاع عن نفسه لباء بقتلة شنيعة يقطر سمها من ألف ألف سيف !!

وجعل المسكين يحاول مرة بعد مرة أن يخرج الحجر الصغير الأسود ... ولكن محاولاته كلها ذهبت سدى ... وكان قد بلغ منه الجهد ، وتولاه الإعياء والضنى ... فلهج لسانه نجاة باسم جونو ... فأسرعت سيده الأبواب لتجده ، وأخرجت الحجر الأسود من جيبه ، ووضعت في يده ، فقذفه جاسون وسط جيش

من قطرات السحر... قترنح الوحش الخفيف الرائع ؛ واستل جاسون جُرازه، وأغمدته في صدر الأفعوان الكريه ، فخر يتلبط في دم غزير... وانقض الفتى على الفروة الثمينة التي ترجع ألف كثر فانزعها من الشجرة... وعادا عجّلين إلى القصر الملكي الرهيب ، حيث كانت وصيفاتها في انتظارها ، وقد جمن كل ما استطعن حمله من أذخار القصر ، كما رسمت لهن ميديا من قبل وحين أوشك الجميع أن يغدوا السير إلى الأرجو... إذا بالفتى أبسرتوس ، أخو ميديا غير الشقيق ، وولى عهد الملك ، يقبل لبعض شأنه ، فتغريه أخته بالسفر معها في رحلة جميلة إلى أبداع بلدان العالم... تساليا... وبرضى ولي العهد... وينطلق الجميع إلى الرفأ حيث رست الأرجو ، فيركبون فيها ، وتقلع بهم في موج كالجبال

في العدد المقبل (خاتمة ميديا)

دبرنى فخر

الأعداء المحققين ، فإني إلا طرفة عين حتى تفرقوا من حوله ، ثم تصرّعوا غير مأجورين... وماتوا جميعاً وأهرع أصحاب جاسون إليه ، وطفقوا يحبونه ويهثونه ، ويذرفون حوله دموع الفرح لا تكشف عنه من غمة هذا البلاء ثم حملوه وهم يهتفون باسمه أحر الهتاف ، وأهرعت الجموع الزاخرة في آثارهم نحو البحر ، وهي تفتأ تردد صيحات الاغريق ، حتى خاف الملك على عرشه أن يثله شعبه ، وأن يجلس عليه جاسون.. لذلك أريد وجهه ، وانتشرت عليه سحابة من الكآبة والهم تملأ أساريه

وبلغ الاغريق سفينتهم فشكروا للكونيليين جميل ما حيوا به بطلم... ثم سلكوا بعد ذلك إلى جاسون فنضوا عنه ثيابه ، وضمخوه بالطيوب والعطور ، ثم هياؤا له طعاماً وشراباً ، من أغر ما يقتنون.. وفي الليل أسر إليهم بسرهم ، وانطلق ليلى ميديا

ولقيته ابنة الملك بابتسامة لم يجزها عليها بمثلها... ثم تركها وقتاً غير قليل تنمره بقبّلها وتنضح يديه وخديه وجبينه بدموعها وتعبّر له عما كان يقيمها ويقعدها حينما انبرى ليعجل فلنكان ، وحين أحرق به أبالة التين يقاتلونه ويتكاثرون عليه ، وهو صابر لهم ، صامد لجموعهم ، حتى قذف الحجر فارتدت في قلوبهم الناي — أرايت إذن يا حبيبي ما صنع الحجر الأسود من السحر — أيقدر على مثل ذلك غير من أوتي من العلم ما أوتيت ؟ — كلا !

— مالك لا تتكلم يا جاسون ؟

— الفروة الذهبية ! أريد أن أفرغ من هذا الهم الطويل !
— الفروة الذهبية لك من غير ما ريب ، فلا تبش ! قبّلني ! وطبع على ثغرها قبة ميسّة كانت ترتجف من شياطين السحر التي ترقص دائماً في فم ميديا... وانطلقا إلى الجانب القصي من الغابة المجاورة ، حيث كان التين الهائل يحرس الفروة المعلقة على شجرة السنديان ، وهناك ، فتح جاسون العلبة الذهبية ثم اقترب من التين في غفلة منه ، وقذف في وجهه بما كان فيها

مطبوعات

لجنة التأليف والترجمة والنشر هذا الشهر

الترتيب	اسم الكتاب
١٨٠	أخبار أبي تمام
٢٠٠	أسماء البيان للأستاذ محمد كرد علي في جزئين
١٥٠	النقض في المواد المدنية والتجارية للأستاذين حامد فهمي ومحمد حامد فهمي
١٥٠	الطرائف الأدبية ويشتمل على جملة دواوين شعراء لم يسبق نشرها منها ديوان الصولي والمختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام للإمام عبد القادر الجرجاني
	وتطلب هذه الكتب من اللجنة بدارها رقم ٩ بشارع السكرداسي بمبايدن ومن المكاتب الشهيرة